المصابيح السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

...-...-...-...

١-قال الله لموسى {وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى} مرآتها [مصطلح "مرآتها" للتعبير عن الآية المقابلة للآية في صفحات المصحف هو مصطلح فتحه الله لأخي بدر أثناء مجلس تدارس القرءان، وفضّلته على مصطلح تناظر وتقابل، وإن كان من الممكن استعمال الثلاثة] مرآة هذه الآية قوله {إذ أوحينا إلى أمّك ما يوحى}

التقابل الأول: {وأنا اخترتك} بعدما صرت رجلاً، {أوحينا إلى أمّك} حين كنت طفلا، فجاء الوحي لأمّ موسى لأنها أمّ موسى أي بفضل موسى وليس لذاتها، "أوحينا إلى أمّ موسى". فالوحي مبني على الاختيار، والاختيار ليس مبنياً على أعمال وكسب العبد وإلا لما اختار الله موسى وهو طفل لم يبلغ بعد ولم يعمل شيئاً يكتسب به شرف الرسالة، "ربك يخلق ما يشاء ويختار". حتى لا تتوهم أن فضلك بعد الرجولة راجع إلى ذاتك، أخبرك بأنه اعتنى بك قبل استطاعتك حتى على المشي وحدك.

التقابل الثاني: كما أوحينا إلى أمّك حتى تحفظ نفسك في الدنيا، كذلك نوحي إليك الآن لنحفظ نفسك في الآخرة "وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتُجزى كل نفس بما تسعى". الآية اليمنى عن وحي النجاة في الآخرة، الآية اليسرى عن وحي النجاة في الدنيا، وبينهما تناظر، ولذلك ستجد كيفية انقاذ الله موسى حين كان طفلاً هي أمثال تعبّر عن كيفية انقاذ الله النفس حين تصبح رجلاً.

التقابل الثالث: أخبره عن وحيه لأمّه وكيفية حفظه من آل فرعون بوسيلة آل فرعون "يأخذه عدو لي وعدو له"، حتى ينبهه إلى أن وحيه التشريعي الجديد له الآن وأمره بالذهاب إلى فرعون لا ينبغي أن يثير ذعره أو خوفه فإن الذي حفظه من فرعون بفرعون حين كان طفلاً قادر على حفظه من فرعون بما شاء حين صار رسولاً.

٢-{إنني أنا الله لا إله إلا أنا} مرآتها {أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه}

التقابل الأول: لابد من دخول التابوت حتى تعرف التوحيد. فإن موتك عن نفسك هو حياتك بربّك. "يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم" فالنفس تصبح في مقام السكينة حين تموت من الدنيا وتحيا بأمر الآخرة والذكر.

التقابل الثاني: {إنني أنا الله لا إله إلا أنا} سبع كلمات، {التابوت} سبعة حروف. والنفس كمالها بأن تصبح سماوية وقد قال "سبع سموت" وقال في النفس الكافرة بعد الموت "لا تُفتّح

لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنّة" فالنفس لابد من أن تصبح سماوية وجنانية، أمران اثنان، والسموات مرتبطة في القرءان من جهة بالعدد سبعة "سبع سموات"، ومرتبطة من جهة أخرى بالعدد ثلاثة لقوله "السموات العلى" وَ "السماء الدنيا" فأثبت العلى والدنيا والمفهوم وجود السماوات الوسطى إذ لا على ودنيا إلا ويوجد وسط بينهما يحدد الفاصل ما بين العلى والدنيا، كذلك النفس من اسمها "نفس" من ثلاثة أحرف لأن لها قابلية التحقق بالسماوات العلى والوسطى والدنيا.

التقابل الثالث: ذكر {فاقذفيه} مرّتان، لماذا؟ لأنه ذكر {أنا} مرّتان في قوله {إنني أنا الله، لا إله إلا أنا}. فالنفس تصبح سماوية حين تدخل في تابوتها عبر {إنني أنا الله} أي تخرج النفس من أناها إلى أنا الله، وتدخل في القذف الآخر وهو صيرورتها جنانية حين تدخل في {لا إله إلا أنا} وهو خروج النفس من تأليه العالَم والخلق والأسباب إلى عدم رؤية غير أنا إلهية واحدة في الأكوان كلها "فأينما تولّوا فثمّ وجه الله" "وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله" "وهو الله في السموات وفي الأرض". إذن، {أنا الله} أن لا ترى إلا الله في مستوى التعالي، و{لا إله أنا} أن لا ترى إلا الله في مستوى التجلي، الأول {فاقذفيه في التابوت} فتموت عن أناك وتحيا بـ{أنا الله}، والآخر {فاقذفيه في اليمّ} وهو يمّ التجليات التكوينية والصور الخلقية فتموت عن الكثرة وتحيا بوحدة {لا إله إلا أنا}.

حين وصلنا إلى هذا المقطع في مجلس الدراسة، فُتح على أخي بدر وعليّ بعده أمر يتعلق بإنشاء مسجد وسمّاه هو "مسجد التابوت"، وقلنا بجعل مكان تحت الأرض يكون فيه توابيت يدخلها طلاب المعرفة الإلهية أثناء خلوتهم والذكر وتجربة الموت تجربة واعية. ويكون ذكر داخل التابوت لتلقّي الطريقة هو {إنني أنا الله لا إله إلا أنا}. والآن أقول: نقسم الخلوة التابوتية إلى قسمين، الأول يكون التابوت فيه ساكناً في محلّه ويكون ذكر صاحبه "إنني أنا الله"، والقسم الآخر يُجعل التابوت في مياه متحركة تعبر من جهة إلى جهة أخرى وأثناء الحركة يكون ذكر صاحبه {لا إله إلا أنا}، على اعتبار أن السكون رمز التعالي والحركة رمز التجلي.

...

الصلاة السنّية الشرعية تابوت "فيه سكينة من ربكم"، فالصورة الجسمانية للصلاة هي التابوت الموسوي الذي "فيه" أي النفس داخله تذكر وتتكلّم بالقرءان وذكر الله والدعاء والتسبيح والاستغفار ونحوها من الكلمات المقدسة.

...

{قال هي عصاي أتوكأ عليها} مرآتها {وقتلت نفساً فنجّيناك من الغم}: الذي بدّل نفسك من الغم إلى الفرج، قادر على تبديل العصا من المادة إلى الحية. تصرّفه في نفسك آية قدرته على ما هو خارج نفسك.

...
{ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى} مرآتها {في ذكري. اذهبا إلى فرعون إنه طغى}: لأن سيرة فرعون الأولى هي "فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم"، فإن الله قادر على إعادته سيرته الأولى فيرجع عن طغيانه إلى فطرته. السيرة الأولى لكل نفس هي الفطرة، وتبديلها ممكن بإعادة الله لها إلى ذلك. فلا تخف من طغيان الناس وسوء حال نفوسهم، ولا حال نفسك قبل ذلك، بل استغرق في ذكر الله وهو الذي يعيد ما يشاء حين يشاء.

...
{رب اشرح لي صدري} مرآتها {فأتياه فقولا إنا رسولا ربك}: الذي يكلّم الله لا يخشى من تكليم أطغى الطغاة.

...
{قال قد أوتيت سؤلك يا موسى} مرآتها {قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}: الذي أعطاك خلقك قادر على إعطائك سؤلك.

سؤلك بعد التكوين مَثل على سؤلك قبل التكوين، فقبل التكوين كانت عينك الثابتة في العلم الإلهي تسأل ربّها التكوين، فهو الذي أعطاك خلقك الذي سألته قبل الخلق، وهو الذي يعطيك سؤلك بعد الخلق، "آتاكم من كل ما سألتموه".

...
{قال علمها عند ربي في كتاب لا يضلّ ربي ولا ينسى} مرآتها {قالوا يا موسى إما أن تُلقي وإما أن نكون أوّل مَن ألقى}: العلم الإلهي مشتمل على كل الممكنات، فما قاله السحرة لموسى هو كلام عن الممكنات {إما أن تُلقى وإما أن نكون أوّل من ألقى} الإلقاء أو عدم الإلقاء، إما هذا وإما ذاك، هذا يدل على حقيقة الممكن الوجودي، فالممكن له وجود ما، لكن الواقع التكويني يحتمل في اللحظة الواحدة ممكناً واحداً فقط، فالممكنات فيها جميع الأضداد لكن الواقع فيه شيء واحد منها، فإذا ألقى موسى أولاً لن يُلقي السحرة أولاً ولو ألقت السحرة أولاً فلن يلقي موسى أولاً. فأين توجد كل هذه الممكنات التي أشارت إليها الآية اليسرى؟ الجواب: في الآية اليمنى {علمها عند ربي في كتاب} الكتاب معناه الجمع، علم ربي جامع لكل الممكنات، كل الأضداد، كل ما لم يتكوّن ويُخلَق بعد.

لو أدرك السحرة هذا المعنى فقط لكفاهم في الكفر بفرعون والإيمان برب العالمين. وبيّن موسى لهم ذلك حين قال لهم {بل ألقوا} فعيّن موسى وجهاً واحداً ليتكوّن. فكان السحرة هنا بمثابة الممكنات في العلم الإلهي، وكان موسى بمثابة الإرادة الإلهية التي تخصص وتقيّد وتعيّن الاحتمال الذي سيتكون "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون".

...

{لله ما في السموات وما في الأرض} فالله يتعالى عن الوصف السماوي والأرضي معاً.

{وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه} "تُبدوا" ما في سموات نفوسكم، "تخفوه" في أرض أجسامكم. فالإبداء هو القول الظاهر "وأسرّها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شرٌّ مكاناً والله أعلم بما تصفون" فقال يوسف ذلك في سرّ نفسه، فالإبداء هو إظهار ما في سموات نفسك بالقول الظاهر. أما الإخفاء فهو ما تخفيه في صورة جسمك وأعمالك الجسمانية، فإنها تخفي عقلك وفكرتك في طي الصورة الجسمانية، "تخفوه" غير تسرّوه والسرّ، فجعل الإبداء ضد الإخفاء وليس ضد الإسرار، الإسرار ضدّه الإعلان "ثم أعلنتم لهم وأسررتم لهم إسرارا"، والإخفاء هنا يوازي الأرض كما أن الإبداء يوازي السماوات، بالتالي كل الأعمال الأرضية تخفي أمراً ما.

{يحاسبكم به الله} فالقول إبداء والفعل إخفاء. لذلك لابد من تأويل الفعل والنظر في مقصد صاحبه ويحتمل العمد والخطأ، لكن القول هو القول ويعبّر مباشرة عن سماوات النفس بشكل أو بآخر حتى الإكراه يعبّر عن إرادة النفس العيش.

{فيغفر لمَن يشاء ويعذّب مَن يشاء} يغفر لمن قصد السماوات، ويعذّب مَن قصد الأرض. فالنفس التي تقصد ترقّي ذاتها لتصبح سماوية يغفر لها ربّها لأنها قصدت الأحسن لذاتها وما يرضاه لها ربّه. والتعذيب من الحجاب وهو متعلق بالأرض التي تخفي "يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا" فمَن قصد بعمله الأمور الأرضية تعرّض للعذاب.

{والله على كل شيء قدير} كل الاحتمالات سواء بالنسبة له، فما سيخصص احتمالاً ما ليقع عليك هو أنت، "فلله الحجّة البالغة".

...

١-بدون معيار، الأمور نسبية فوضوية.

٢-بدون إله، لا معيار لجميع البشرية.

٣-معيار الإله هو الدين.

٤-الدين في الكتاب.

٥-الكتاب بيد الرسل.

٦-"نُجب دعوتك ونتّبع الرُّسُل".
٧-هذه خلاصة القضية الإنسانية الوجودية والاجتماعية.

بيان ذلك:
١-الناس تعمل، ولابد من العمل ولا مفرّ من العمل، إذ كل حي عامل بالضرورة، يعمل شيئاً، أي شيء، أيا كان هذا الشيء. لأن في النفس طاقة لابد من تفريغها، وتفريغها هو العمل، سواء كان عملاً داخل الذهن أو بخارج البدن.

العمل دائماً مظهر لمقاصد شعورية أو لاشعورية. فهو فرع لشيء في ذهن العامل. حتى حين ينفعل الإنسان لشيء من خارجه فإن انفعاله إنما هو بحسب تركيبته الذهنية وحالته النفسية، وحواسّه تابعة لدماغه وأفكاره.

كل الناس يعانون في الطبيعة بدرجة أو بأخرى، في مرحلة أو أخرى، ولا مفرّ من ذلك. الذي يؤمن بالشيء والذي يكفر به يعانون بشكل ما. فلا يمكن اعتبار المعاناة حجّة مطلقة لشيء أو ضدّه. وتفسير الحوادث يحتمل نظريات مختلفة.

[الأمور نسبية] يعني كل فرد له ذهن وبدن، ويستطيع أن يحكم على الأمور ويفعل من الأمور ما يتناسب مع ذهنه وبدنه ولو على حساب أذهان وأبدان الآخرين، ولذلك هي [فوضوية] لأنها تفضي إلى الفوضى والتنازع والعدوان بين الناس. الرغبة تصبح سبباً لتوليد العمل، والحكم على الأعمال حين يتبع الرغبات الشخصية الفردية يتشتت إلى أحكام بعدد الأشخاص والأفراد، والنتيجة بالضرورة هي أن الأقوى بدناً والأقدر على المكر بأذهان الناس وخداعهم يصبح هو الأحق بالحق بينهم، فينتهي الأمر إلى سلطة العنف والدجل بالضرورة. النسبية النظرية غطاء على العنف والدجل لا محالة. بل نظرية النسبية القيمية هي بحد ذاتها نوع من الدجل المذكور، لأنها فكرة وعقيدة يتم إلقاءها إلى الناس حتى يبتلعوها ويقبلوا بالواقع الذي هم فيه. ولا تنشأ هذه النظرية النسبية إلا ممن لديهم القوة على العنف ويمررونها عبر أتباعهم من أهل المكر اللغوي حتى يشرعنوا ما هم عليه عند عامّة الناس.

إذا كان "أنا" هو مصدر الأحكام على الأشياء، فإن الأحكام تتعدد بتعدد "الأنا"وات، وحين يصبح الحكم كذلك فوجود الحكم كعدمه، إذ الحكم الذي لا يجمع المتفرّقين ويلمّ شعث المشتتين ويُحِلّ السلم بين المتنازعين ويفصل بين المتخاصمين فهو كعدم الحكم إذ يبقى الأمر على ما كان عليه قبل الحكم، بل هذا أسوأ لأنه يوهم الناس بعدم وجود الحكم الفاصل أصلاً فيمنعهم من طلبه ويجعلهم يرفضونه إن عُرِضَ عليهم.

المخرج من ذلك هو بوجود وقبول [معيار]. فما هي طبيعة هذا المعيار؟

٢-طبيعته هي أن يكون من الـ[إله]. من مصدر فوق بشري، واحد لا يتعدد ولا يتكثّر.

من مصدر فوق بشري، لأن البشر كثر يتنازعون كما في الفقرة السابقة.

أن يكون واحداً لا يتعدد ولا يتكثّر، لأنه لو تكثّر فسيحتمل الاختلاف فنرجع إلى ما كنّا فيه، أو يحتمل الدعاوى المتعارضة فكل واحد من الناس يدعي أنه أخذ المعيار من ذلك المصدر العالي المختلف والمفترق عن غيره، فنرجع إلى ما كنّا فيه. لذلك لم نقل "من الملائكة" ولا "من الجن" ولا من أي كائن آخر من الذوات المتكثّرة والمختلفة.

كذلك لا حجّة لمخلوق على مخلوق، فهو مخلوق مثله، حتى لو كان أعلى منه في الصفات والدرجات التكوينية فهو مخلوق عابد للإله الواحد المتعالي في نهاية المطاف، فلا حجّة لقبول ما يأتي به أساساً.

لذلك قلنا [بدون الإله، لا معيار].

٣-[معيار الإله هو الدين]

النفس الإنسانية فيها عقل وإرادة.

العقل مدين للحقيقة بالتسليم لها، لأن الحقيقة نور، والعقل مدين لإله الحق بالقدرة على معرفة الحقيقة، فالتسليم بالحقائق هو الدينونة العقلية لإله الحق واهب العقل.

الإرادة مدينة للحقوق بالتسليم بها، لأن الحق نور، والإرادة مدينة لإله الحق بالقدرة على العمل بالحقوق، فإن الإرادة تُخصص الممكنات وقابلة لفعل الشيء وضدّه، وإله الحق أعطى الإرادة الحرّة للعبد حتى يختار بها الأحسن والأتقن والأسلم، إذ الإرادة الحرّة هبة من الإرادة الإلهية المطلقة كما أن العلم نور من نور العلم الإلهي المطلق، فالتسليم بالحقوق والعمل بمقتضاها هو الدينونة الإرادية لإله الحق واهب الإرادة.

أن تدين لإله الحق بعقلك وإرادتك، هو دين الحق. فالدِّين دَينٌ من الإله الحق إلى العبد، ويردّ العبد هذا الدَّين بالتسليم بالحقائق عقلاً وبالتسليم للحقوق عملاً. العقل قابل للجهل والعلم، وقابل لقبول الحقيقة ولجحد الحقيقة. كما أن الإرادة قابلة للظلم والعدل، وقابلة للتسليم بالحقوق وللبغي والعدوان فيها وعدم العمل بمقتضاها.

كما أن هذا العالَم ممكن من الممكنات المعقولة، لكن إله الحق أراد هذا العالَم من بين كل الممكنات. كذلك عرفنا بهذا أن كون العقل والإرادة في ساحة الممكنات يقتضي وجود شيء يحدد للعقل والإرادة نوعية العمل المناسب لصلتهما بإله الحق وعالَمه الذي خلقه. هذا الشيء هو الدين. فلإله الحق دين، وهذا الدين معيار النفوس الإنسانية العاقلة المريدة.

٤-[الدين في الكتاب]

الإله يتعالى على النفس، والعالَم الذي خلقه الإله محيط بالنفس والنفس فيه. فكما أن الحق من وراء النفس، كذلك مصدر الدين يأتي من وراء النفس، وهو الكتاب الذي يأتي من خارج النفس كما أن العالَم خارج النفس ومستقل عنه. فكما أن الحواس تستقبل من العالَم وتنفعل له وتفعل فيه بحسب ما هو عليه، كذلك النفس تستقبل من الكتاب بالسماع وتنفعل له بالقراءة وتفعل فيه بالنظر والاستنباط والتأويل والتفسير.

لو كان الكتاب من ذات النفس، لعدنا إلى الأنانية السابقة المُشتتة النسبية، فإن العقل في ساحة الممكنات والإرادة في ساحة الممكنات، فلا يمكن أن يخصص العقل العقل ذاته، كما أنه لا يمكن للإرادة أن تخصص ذاتها وتقيّد ذاتها بذاتها حصراً. حتى لو كان العقل يدرك الحقيقة فإن التسليم بالحقيقة وعدم جحدها وبناء الأفكار الفعّالة عليها ليس من ذات العقل حصراً، فكم من عارف بحقيقة وهو جاحد لها وغير باني عليها ولا مفعّل لها في نظرته للأمور. كذلك الإرادة، هي قابلة للشيء ونقيضه وضدّه، فحتى لو فرضنا أن الإرادة كانت قادرة على فعل الخير وبحسب مقتضى الحقوق، فإن التسليم العملي بذلك والصبر على إظهاره ودفع بقية الاحتمالات الأكثر راحةً والأقل كُلفة والأكثر أُلفة لا يكون من ذات الإرادة حصراً.

داخل العقل وعي، وداخل الإرادة حرية. أما ماذا تعي وماذا تبني بما وعيت، وماذا تريد وكيف تتقيّد بما تريد وتصبر عليه وتفعّله وتُظهره على مرّ الزمن وتجدد الإرادة ووجوب تجديد تفعيل التسليم بالمُراد حتى يتجلى في العالَم بالصناعة والمجاهدة، فهذه أمور من وراء ذات العقل والإرادة الجوهرية. لابد من شيء من وراء العقل والإرادة حتى يعيه العقل وتفعل بحسبه الإرادة. أوّل محيط للعقل والإرادة هو ساحة الممكنات اللانهائية، ثم ساحة الممكنات الفكرية والوهمية، ثم ساحة الممكنات الطبيعية والاجتماعية. وبين هذه المساحات الثلاث تشتيت وحيرة للنفس الواعية الحُرّة. فأين المُخصص والمُقيّد؟

الذي خصص العالَم وقيّده هو إرادة الإله الحق، الإرادة التكوينية. كذلك لابد من تخصيص وتقييد النفس بإرادة الإله الحق، الإرادة التعليمية والتشريعية، أي الإرادة المبينة للحقائق والحقوق. هذه الإرادة تظهر بالكلمة، والكلمة تتنزّل للنفوس بحسب استعدادها، ومن هنا "لكل أمّة رسول" "بلسان قومه ليبيّن لهم". بدون كلام الإله الحق مع النفس، تبقى في ظلمات الحيرة كما أن العالَم بدون كلمة التكوين الإلهية كان في ظلمة الإمكان العدمية.

قيام النفس بالوعي والحرية في ساحة الممكنات المحدودة واقعياً، هو آية قيومية نفس الإله الحق بالعلم والمشيئة في ساحة الممكنات اللانهائية حقّاً. النفس مقامها خطير، ومن هنا نعرف أن مقام النفس الحقيقي هو الخلافة للإله الحق، فهي خليفة الإله المتعالي.

الخليفة إما أن يوافق مَن استخلفه وإما أن يختلف عنه. إن اختلف عنه فقد صيّر نفسه بمثابة إله مستقل، وهو كفر بالإله الواحد، وخرج عن حدّ العبودية إلى صورة الربوبية، وحتى يرجع إلى حدّه لابد من كسر وتدمير ما هو عليه وبذلك يتبيّن له أصله الحقيقي الذي هو العبودية للإله الحق. فلا يبقى إلا طلب الموافقة.

لمعرفة الموافقة لابد من عروج أو من نزول. إما أن يعرج الخليفة إلى الإله ليأخذ عنه، وإما أن يتنزّل الإله إلى الخليفة ليأخذ منه. ولمّا كان الإله يتعالى بذاته عن الأكوان، فلا يبقى إلا إلقاء كلمته وتنزيل إرادته في صورة كلام ليعقلها الخليفة، وهذا هو [الكتاب] الذي فيه [الدين].

لابد من تعدد الكتب لأن ألسنة النفوس وقابلياتها متعددة مختلفة. لكن لابد من أصول مشتركة بين كل الكتب لأن النفوس لها وحدة جامعة وحقيقة مشتركة. فلابد أن يكون بين الكتب اشتراك واختلاف، اشتراك في الكلّيات واختلاف في الجزئيات، اشتراك في الجوهر واختلاف في الصور. وكل أمّة من النفوس تأخذ بالكتاب الذي نزل عليها، وكتاب كل أمّة لابد أن يكون واحداً كأصل حتى تجتمع عليه وتتوحد به وتتواصل مع بعضها بحسبه. ولابد من وجود أصول الحقائق والحقوق في جميع الكتب، حتى تكون كلمة سواء تجمع جميع النفوس الإنسانية أيا كانت اختلافتها الجزئية والصورية.

٥-[الكتاب بيد الرسل]

يأتي بالكتاب رسول، ويستمرّ الكتاب في الأمّة بيد الرسل الذين يواصلون أخذ الكتاب وتعقله على وجهه الصحيح وتعليمه كذلك والعمل بحسبه وتصديق ما فيه وإظهار مصاديقه في نفوسهم وعصرهم.

بالنسبة لنا معشر العرب، رسولنا محمد وكتابنا القرءان، ورسلنا لا يعلمهم إلا الله كثرة بحمد الله، وهم كل علماء القرءان ورثة الرسول وقراء القرءان لهم حظوظهم ودرجاتهم بحسب تزكيتهم وتعلمهم وجهادهم وما سبق لهم من ربهم.

فرق بين "المرسلون" وبين "الرسل"، فالرسل يدخل فيهم المؤمنون كما قال مثلاً {ولقد آتينا موسى الكتاب وقفّينا من بعده بالرسل} فهم حملة كتاب موسى. مَن كان من المرسلين فهو من الرسل، لكن ليس كل مَن كان من الرسل فهو من المرسلين. الرسول صاحب الكتاب، الرسل ورثة الكتاب. وقال {حتى إذا استيأس الرسل وظنّوا أنهم قد كُذبوا} وقال في أخرى {حتى

يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب} فدخل في الرسل في آية الاستيئاس الذين ءامنوا مع الرسول، وعلى اعتبار أن قائل "ألا إن نصر الله قريب" هو الرسول وأن قائل "متى نصر الله" هم الذين ءامنوا معه الرسول يكون الاستيئاس تعبير عن قول الذين ءامنوا وليس الرسول، مما يعني أن الذين ءامنوا رسل. كذلك قال تعالى {فهل على الرسل إلا البلاغ المبين} ففي كل أمّة رسول صاحب كتاب أناس يكلّفهم الله بتبليغ الكتاب بلاغاً مبيناً وتبيينه للناس على ما أُنزل عليه، وهؤلاء أشعة شمس الرسول في عصرهم.

بما أن الكتاب قد يُحرَّف وقد يُجهَل وقد يُقال فيه بالظن الخاطئ وقد يُطلَب به الدنيا، كما قال مثلاً "لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون" و "يحرّفون الكلم"، فليس كل أهل كتاب هم أهلٌ لتبيان الكتاب. "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" ولم يقل أي تابع للدين أيا كان. فالأهلية بصورة الانتساب شيء، والأهلية بمعرفة اللباب شيء آخر. كما قال {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هُنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كُلٌّ من عند ربنا وما يذّكّر إلا أولوا الألباب}، فدلّت الآية على الاختلاف النوعي الجوهري بين أصحاب الكتاب الواحد، فحتى الذين أثبت لهم اتباع شيء من آيات الكتاب أثبت كون قلوبهم مشتملة على الزيغ ودل على سوء مقاصدهم وجهلهم، فأصحاب الكتاب الواحد ليسوا سواء في العلم به واتباعه وحسن القصد والنية فيه.

فلابد من اختيار صنف من أصحاب الكتاب حتى يُعرَف الكتاب على وجهه بوسيلتهم. وهم الذين سمّتهم هذه الآية {أولوا الألباب}، وآية أخرى {أهل الذكر}، وآية ثالثة {الرسل}، وآية رابعة {المؤمنون}، وآية خامسة {الصادقين}، وآيات كثيرة. واخترنا من بينها اسم {الرسل} لأنه الاسم الجامع لكل الفضائل السابقة، ولأن فيه إشارة إلى استمرارية رسالة الرسول الأول من خلالهم فهم خلفاؤه في البيان والتزكية والتعليم والعمل، ولأن فيه إشارة إلى الاصطفاء الإلهي المستمر عبر الزمن وهو أصل الأصول، ولأنه الذي سيتمنّاه أهل الكفر في الآخرة كما في الحجّة التالية.

٦-[نجب دعوتك ونتبع الرسل]

هذا من قوله تعالى {وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا "ربنا أخّرنا إلى أجل قريب نُجب دعوتك ونتّبع الرسل"} هذه الآية شاملة لكل الناس وكل الذين ظلموا، لأنها تبيّن قولهم في الآخرة. مما يدل أن مضمونها حق مستمر عبر الزمن، أي لا إنسان إلا وقد وصلته أو كان في دائرة دعوة إلهية ورسل ظاهرين بدرجة أو بأخرى، هذا بالنسبة للناس الذين

سيحاسبون ويعذّبون، فحيث قال الله "ما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولا" خرج من مضمون الآية كل مَن كان على "حين فترة من الرسل"، رحمةً من الله بهم حتى لا يحاسبوا كما أنه من الرحمة بالغلمان ذوي النفوس الزكية أن يموتوا قبل بلوغهم التكليف ولعلهم لو بلغوه لدخلوا النار بظلمهم وطغيانهم، فأهل الفترة من الرجال مثل مَن مات من الأطفال. أما الآية فتشير إلى مَن كان في دائرة الرسل، ولذلك بدأت بقوله {وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب} والعذاب لا يأتي إلا بعد بعث المرسلين، ويعزز هذا قولهم {نجب دعوتك ونتبع الرسل} مما يدل على بلوغ الدعوة وظهور الرسل في زمانهم مع استطاعتهم على التعقل والعمل.

طالما أن لله كتاب في الأرض فلابد من اقترانه برسل يُبلغونه ويبينونه للناس ويدعون الناس بدعوة الحق، أناس لهم إذن خاص بالتعليم وقبل ذلك فتح خاص بالتفهيم. فالله آتاهم التفهيم، والله أمرهم بالتعليم. {وأنزلنا إليك الذِكّر لتبيّن للناس ما نُزّل إليهم}. ويشهد لهذا المعنى في ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله "العلماء ورثة الأنبياء" و "إن الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنة مَن يُجدد لها دينها" و "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي" وسماهم بالثقلين والخليفتين وقال "أحدهما أكبر من الآخر" أي الكتاب أكبر من أهل البيت ثم قال "لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض". ويشهد لذلك أيضاً ما قاله علي بن طالب عليه السلام وهو رأس العترة وأولهم في الولاية الخاصة بعد النبي لقوله في ذات الحديث "مَن كنت مولاه فعليّ مولاه"، روي أن رجلاً سأل علياً عليه السلام "هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله" فقال علي "لا والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهماً يُعطيه الله رجلاً في القرءان، ومافي هذه الصحيفة" فقال "وما في هذه. الصحيفة" قال علي "العقل وفكاك الأسير ولا يُقتَل مسلم بكافر". أقول: الصحيفة شيء كتبه علي من إملاء رسول الله عليه، فاعتبره من الوحي لأن الرسول يحكم بما أراه الله في كتابه المنزل عليه بالحق كما في الآية، فهذا الصنف الثالث من الوحي الذي أثبت علي وجوده في الأمّة، وهو ما نُقِلَ من قول رسول الله. والصنف الأول هو ما في كتاب الله أي القرءان وهذا ظاهر. والصنف الثاني المتوسط بينهما هو قوله "إلا فهماً يُعطيه الله رجلاً في القرءان"، فاعتبره علي من الوحي لأن السؤال كان عن الوحي "هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله"، فلو كان هذا الفهم المُعطى ليس من الوحي لما كان الجواب بذكره مفيداً ولا له وجه، لكن المقصود أن الفهم المُعطى من الله في كتاب الله هو من الوحي ولو من وجه قول إبراهيم " مَن تبعني فإنه منّي"، إلا أن الفهم المُعطى من الله هذا فيه نوع استمرارية وحي لكنه في هذه الحالة مقيّد بدائرة كتاب الله الذي جاء به رسول الله، وأصحاب هذا الفهم هم الذين نسميهم هنا الرسل، لأنهم قبلوا كتاب الله من رسول الله وقبلوا فهم كتاب الله من الله وقبلوا ما جاء بيقين

من كلام رسول الله الحاكم بكتاب الله. الجامع المشترك بين الأصناف الثلاثة هو محورية كتاب الله، ولذلك قلنا في فقرة سابقة "الدين في الكتاب".

ثم لاحظ أن سيدنا علي عليه السلام ذكر الكتاب والفهم والسنّة بهذا الترتيب، لماذا؟

أحد الوجوه: الكتاب نصّه ثابت ومغلق لأن الوحي انقضى للرسول "حتى يُقضى إليك وحيه"، لكن معاني الكتاب لانهائية "لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي" وقال النبي "لا تنقضي عجائبه"، فالكتاب نصّه مغلق ومعناه مفتوح.

أما الفهم فشخصه مجهول لأن الرجل الذي يعطيه الله فهماً في القرءآن غير محدد، فلا أحد غير الله يعرف مَن سيُعطى ماذا، لا كنيسة في الإسلام مثلاً لتحدد مَن هم الرجال الذين لديهم الفهم الإلهي الصحيح للوحي ولأمر الله، لذلك قال علي "فهماً يعطيه الله رجلاً" فنكّر رجلاً فتركه مفتوحاً غير معلوم الحد، اللهم إلا أنه قيّده بالرجولية والرجولية ليست الذكورية "رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه" "رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله"، وما سوى ذلك مجهول من حيث التشخيص، وكذلك مادة الفهم أقصد نصوص الفهم مجهولة أيضاً من جهة فلا ندري لا كمّية ولا كيفية الفهم الذي سيعطيه الله لمن يشاء من الرجال إلا أنه مقيّد بكونه فهماً "في القرءان" وما سوى ذلك فمجهول من حيث التحديد.

أما السنّة، فنصّها مغلق وشخصها مُحَدد. فالنصّ ما نُقل عن رسول الله حين كان في الأرض، فهو النصّ الواجب على الجميع قبوله لمن بلغه بيقين يرتضيه قلبه. وشخص صاحب السنّة معلوم محدد وهو سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم.

فالكتاب محدود المباني ومطلق المعاني. الفاهم محدود بالرجولية والقرءان ومُطلق الشخصية والكلام. السنّة محدودة المباني ومحددة الشخصية. والفهم والسنّة تبع للقرءان "اتبع ما أوحي إليك من ربك".

لكن الفهم مذكور في المرتبة الثانية ما بين الكتاب والسنّة، والوجه الآخر هو كون حكمة ذلك هي وجوب وزن الفهم بالكتاب والسنّة، فما خالف القرءان فليس فهماً من الله، وما خالف حكم رسول الله فليس فهماً من الله، وكل ما سوى ذلك قابل من حيث المبدأ ليكون من الله. فإن الله هو الذي أنزل القرءان، وهو الذي بيّنه لرسوله وأراه إياه حتى يحكم به، فلا يُعقَل أن يُعطي الله فهماً في القرءان يخالف القرءان والحكم الإلهي بالقرءان. "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً". التفهيم الإلهي وإن كان أعمق من إدراك أكثر الناس للكتاب والسنة إلا أنه موافق للكتاب والسنة ومصدق لهما. فلا يكون التفهيم الإلهي إلا مُصدق لما بين يديه من كتاب الصدق والسنة الصادقة.

٧-[هذه خلاصة القضية الإنسانية الوجودية والاجتماعية]

ما سوى الحكم بكتاب الله على الأمور، ومن دون جعل تعلّم كتاب الله مقصد الحياة الإنسانية الأكبر الذي يدور حوله ويصدر منه ويتفرع عنه كل شيء آخر، فإن الأمور كلها نسبية فوضوية فلا داعي لإضاعة الوقت والجهد بالنقاش فيها. إنما هو الكتاب الإلهي، وما سوى ذلك هباء منثور ولغو شيطاني.

...

ملحوظة للبحث:

أ-وجدت بين سطور المصحف تناظراً آخراً، وهو أن أول سطر من فوق في الصفحة اليمنى يوازي آخر سطر من تحت في الصفحة اليسرى، ثم ثاني سطر من فوق في اليمنى يوازي ثاني سطر من تحت في اليسرى، وهكذا كأن كل صفحة تعكس الأخرى. وجدت أن مقارنة هذه السطور ببعضها يعين بإذن الله على فتح معاني جديدة ورؤية الآيات في ضوء بعضها البعض.

مثلاً: في أول سطر من اليمنى قوله تعالى {وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى. إنني أنا الله لا إله إلا أنا}، وفي آخر سطر من اليسرى قوله تعالى {كل شيء خلقه ثم هدى. قال فما بال القرون الأولى}. لاحظ أن اليمنى فيها ذكر لاختيار الله لموسى وفي اليسرى فيه ذكر خلق الله لكل شيء، وقد قال تعالى "وربك يخلق ما يشاء ويختار"، فبين خلقه واختياره مناسبة كما تراه في هذه الآية، وانعكست هذه المناسبة في السطرين السابقين. هذا معنى. معنى آخر، قال في اليمنى {فاستمع لما يوحى} وقال في اليسرى {ثم هدى}، فشرح الهداية المذكورة في اليسرى هو بالإيحاء المذكور في اليمنى. معنى ثالث قال في اليمنى {إنني أنا الله لا إله إلا أنا} وقال في اليسرى {قال فما بال القرون الأولى} فإن سؤال فرعون كان عن الله الذي لا إله إلا هو والذي ضلّت عنه القرون الأولى حسب سؤاله أي فما بال القرون الأولى لم تعرف التوحيد الإلهي الذي تذكره، هذا وجه للمناسبة بين السطرين، ووجه آخر هو أن القرون الأولى هلكت لأنها ضلّت عن توحيد الله.

ب-كذلك وجدت أن السطر الأول في الصفحة يناظر السطر الأول في بقية الصفحات، يعني السطر الأول في الصفحة الأولى يناظر السطر الأول في الصفحة الثانية وهكذا في المصحف كله، ما عدا صفحة الفاتحة وأوائل البقرة. وهذا على الأقلّ للتقريب وجدته مساعداً.

مثلاً، في أول سطر من الصفحة ٣١٨ قال {فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم}، وفي أول سطر من الصفحة ٣٢٠ قال {فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرءان من

قبل أن}. لاحظ ذكر تأليه العجل وهو تأليه لما هو نازل في مقابل تعالي الله الملك الحق، فذكر الظلمة في سطر وذكر النور في السطر الموازي له. لاحظ أيضاً ذكر العِجل في آية ثم ذكر عدم العجلة بالقرءان في الآية الأخرى، والمناسبة بين العِجل والعَجَلة ثابتة لغةً وعقلاً ومفهوماً في القرءان لذلك قال لهم موسى مثلاً "أعجلتم أمر ربكم". وبالمناسبة: "أعجلتم أمر ربكم" مرتبطة أيضاً بالقرءان من حيث أن "أمر ربكم" يشير إلى الروح لقوله "الروح من أمر ربي"، فهؤلاء صنعوا العِجل ليكون واسطة نقل الروح لهم من الله، بدلاً من انتظار موسى ليأتي بالألواح التي فيها كتاب الله والتي هي الوسيلة الحقيقية لإفاضة الروح عليهم وكشف العلم لهم، كما قال تعالى في القرءان "أوحينا إليك روحاً من أمرنا"، فالعلاقة الأخرى بين السطرين هو أن قصّة العجل مَثَّل على اتخاذ وسيلة غير القرءان في هذه الأمّة لإفاضة الروح الرباني، فإن ذلك من مظاهر العجل وتأويلاته في الأمّة.

تنبيه: هذه أمثلة لم أنتقيها بعناية لإظهار صحّة المبدأ، بل وجدت بفضل الله الكثير من هذه المناسبات واخترت هذه لسهولة إظهار العلاقة بينها نسبياً بحمد الله. فلاحظ هذا الجانب أثناء دراستك كتاب الله.

تنبيه آخر: عموماً، اسم السورة يُعَدّ سطراً، والبسملة سطر آخر، ثم باقي السطور بحسب موقعها ولكي لا تُخطى فالأسهل عَدّ رقم السطر من أسفل الصفحة.

إذن تلخّص لنا ثلاث طرق لمقارنة الآيات في المصحف ببعضها البعض لاستنباط المعاني منها وشرح الآيات بعضها البعض:
الأول، طريق التوازي الخَطِّي. وهو أن تقارن كل آية بأختها في الصفحة المقابلة لها، أو السطر بالسطر المقابل له.
الثاني، طريق التوازي العمودي. وهو أن تقارن كل آية أو سطر بالسطر الذي تحته، فتتخيّل عموداً يسري بين الصفحات وبين كل الآيات المتعلقة بهذا العمود أو المحور مناسبة.
الثالث، طريق التوازي العكسي. وهو أن تقارن السطر الأول في الصفحة اليمنى بالسطر الأخير في الصفحة اليسرى، ثم الثاني من اليمنى من فوق مع الثاني من اليسرى من تحت، وهكذا.

...

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم {ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده}

أربعة أسباب، وأربعة آثار.

السبب الأول {اجتمع}، وأثره {نزلت عليهم السكينة}. فالاجتماع سبب تنزّل السكينة، كما أن الفرقة سبب تنزّل الشيطنة واللعنة والفشل وذهاب الريح وبقية آثار الفرقة الخبيثة.

السبب الثاني {في بيت من بيوت الله}، وأثره {وغشيتهم الرحمة}. فكما أنك جعلت بيت الله يحيط بك من كل جهاتك، وكما أن غشيت بيت الله أي ذهبت إليه ودخلته، فكذلك تغشاك الرحمة، لأن بيت الله هو مظهر الرحمة في الأرض.

السبب الثالث {يتلون كتاب الله}، وأثره {وحفّتهم الملائكة}. لذلك وجوه، منها "ن والقلم وما يسطرون" فإن كل آية من تسطير الملائكة، وهم نور فالآيات آثارهم، ولذلك تحفّ الملائكة مَن يتلون الآيات انجذاباً لهم وحبّاً لهم وللمناسبة بينهم وبينهم. وجه آخر، أنهم الملائكة الذين سعادتهم في سماع كتاب الله، على اعتبار أن تلاوة آيات الله من خواص بني ءآدم، كما أن الأسماء أخذتها الملائكة من ادم كذلك الآيات تأخذها الملائكة من بني ءادم.

السبب الرابع {ويتدارسونه بينهم}، وأثره {وذكرهم الله فيمن عنده}. السكينة والرحمة والملائكة آثار عظيمة، لكنها لا تساوي ذكر الله الذي هو أعظم الثواب وأعلى الشرف للعباد. وهذا الشرف أثر لتدارس كتاب الله، ليس للاجتماع في بيت الله ولا للتلاوة فقط. إذن أعظم الأعمال تدارس كتاب الله، كما أن أعظم الثواب ذكر الله لك فيمن عنده. هذا معنى. معنى آخر، {فيمن عنده} تشير إلى رؤساء الملائكة، فإن {حفّتهم الملائكة} تدل على ملائكة نازلة، لكن {فيمن عنده} تشير إلى الملائكة المقربين لقوله "لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون"، فالمَلَك قد يكون من المقربين وقد لا يكون، وفضل تدارس كتاب الله هو ذكر الله للمتدارسين فيمن عنده من الملائكة المقربين. فالله عَلّم كتابه الملائكة المقربين، وفصّله لهم ودرّسه إياهم. وكل مؤمن يُدرّس كتاب الله للمؤمنين والمؤمنات، يتجلى بصفة الخلافة، ثم المؤمن الذي يدرّس هذا في جمعة التدارس يصبح هو مظهر الخليفة والآخر يأخذ عنه، وهكذا يدور الدرس بينهم كلهم، فإن قوله {يتدارسونه} يشير إلى التفاعل من الكل، فإن وزن تدارس هو تفاعل، أي كل واحد يدرّس الكل. ففي مجلس التدارس يتحوّل كل واحد ما بين مقام الخلافة وبين مقام الملائكة، حين يُلقي الكلام وما فُتح له من التفهيم الإلهي يكون في مقام الخلافة، وحين يتلقّى الكلام وما فُتِح على غيره يكون في مقام الملائكة، فإن الخلافة لها الإعطاء والملائكة لها الأخذ

عن الخليفة "يا ءادم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم". فلا يوجد في الأرض أعظم من مجلس تدارس كتاب الله، ولا عمل أعظم من هذا العمل، ولا حضرة أعظم من تلك الحضرة.

...

{فستعلمون مَن أصحاب الصراط السوي ومَن اهتدى} شرحها في مرآتها الخَطّية {لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون}. فأصحاب الصراط السوي هم الذين أخذوا كتاب الله المُنزَل، والذي اهتدى هو الذي تعقّل كتاب الله على وجهه الذي أنزله عليه.

...

الصلاة المحمدية مثال الحساب في الآخرة.

الحساب سيكون على كلام الله وحمد الله ودعاء الله.

لذلك القيام الأول فيه تلاوة كلام الله، فالسؤال "أعدتَ كلام مَن؟ هل آمنت بكلام الله؟" ثم بعده انحناء تسبيح حتى تُنزّه كلام الله عن أوهامك الباطلة عنه أو تقييدك لحقيقته ومعانيه، فالحق أن الله هو الفاعل للتلاوة بك "سبحان الذي أسرى بعبده".

ثم القيام الثاني فيه حمد الله، "سمع الله لمن حمده. ربنا ولك الحمد". فالسؤال "هل حمدت الله؟ هل حمدت غير الله؟ هل حمدت نفسك وأحببت أن تُحمَد بما لم تفعل؟" ثم بعده انحناء السجود لتنزيه الله عن حمدك، وحتى تذكر أن الله هو الحامد لنفسه بك وفيك فإن الحمد له أي هو الفاعل له.

ثم القيام الثالث على اعتبار أن القيام كون رأسك مستقيماً وهو قيام على الركبة أي الجلوس بين السجدتين هو مقام دعاء الله. فالسؤال "هل دعوت الله؟ هل دعوت غير الله إلهاً فأشركت بربك؟" ثم بعدها سجدة تنزيه لله عن كل أباطيل الدعاء كأن تتوهم بأنه لا يجيب الدعاء أو بأنه لم يسمعك أو بأنه لم يُجبِك ويؤتيك ما سألته.

الأمر كله يدور حول كلام الله وحمد الله ودعاء الله. ثم بعد القيام بهذه الأعمال تقول كما قالت الرسل "لا علم لنا"، أي تنفي عن نفسك وتزكّيها من توهم نسبة هذه الأعمال النورانية لها بل هي لله ومنه وحده.

...

قال: منذ أن بدأت الرحلة وأنا في تخبط عن الإجابة . هل على المؤمنين أن يأخذوا العلوم من القرآن فقط ، دون الإشراك بِكتاب آخر.. حتى يصلوا إلى مرحلة تعليمهم بالعلم اللّدني الخالص من الله وملائكته؟ بشرط أن لا يدخل كتاب آخر غير كتاب الله. أو لا بأس بأشراك كتاب آخر لزيادة المعرفة والعلم، وأن الجمع بينهم لا شرك به. لا أدري لِمَ أشعر بالذنب إذا

قرأت تفاسير بعض الآيات والعلوم مِن كتاب غير القراءن. وأن علي "تدبره بنفسي" واستخلص المعرفة دون الأخذ بغيره!

أقول:

قال الله {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}، فهل سؤال أهل الذكر شرك؟

قال الله {إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار}، إذن التوراة واحدة، كتاب الله واحد، وفيه الهدى والنور، لكن الذين يحكمون به ليسوا على درجة واحدة، فتوجد درجة {الذين هادوا} وهم الذين يحتاجون إلى مَن يحكم لهم بكتاب الله، وتوجد درجات ثلاث هي النبي والرباني والحَبر، فالنبي أعلى من الرباني، والرباني أعلى من الحبر. فتعلّم كتاب الله من أهل العلم بكتاب الله على اختلاف درجاتهم ليس من الشرك بالله قطعاً.

قال الله {إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون} إلى أن قال {إلا الذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا}. فكتاب الله مبيّن للناس "بيّناه للناس في الكتاب"، لكن ليس كل الناس يستطيعون أخذ هذا البيان من الكتاب أو بنفس الدرجة، لذلك جاء التشديد على الذين تبيّن لهم معنى الكتاب أن يبيّنوه للناس، "لتبيننه للناس ولا تكتمونه". فلو كان كل واحد يستطيع أخذ الكتاب لوحده مطلقاً بدون تعلّم وتعليم من الناس، فلماذا يأمر هؤلاء بتبيينه للناس أصلاً ويشدد عليهم بعدم الكتمان.

قال الله {تعاونوا على البِرّ والتقوى}، ومن التعاون التعاون على فهم كتاب الله وتدارسه فيما بيننا. فالذي يعرف شيئاً يقوله للذي لا يعرفه.

موسى نفسه سافر ليتعلّم من عبد من عباد الله كما في سورة الكهف، وقال له {هل أتّبعك على أن تُعلِّمنِ مما عُلِّمتَ رُشداً}، فهل كان موسى مشركاً بالله لأنه طلب التعلّم من عبد من عباد الله؟ هذا وهو موسى كليم الله، فما بالك بمن ليس كليماً لله.

والآيات كثيرة في هذا المعنى. فالفكرة هي التالي: على كل واحد أن يتعلّم كتاب الله بنفسه بقدر استطاعته، ويسعى للتعلّم من أهل كتاب الله أيضاً وعلماء الأمّة كما قال "أولم تكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل"، فالعلماء لهم شأن في الأمّة، فلم يجعل الحُجّة في علم أي أحد من بني إسرائيل بل بعلم العلماء منهم حصراً. كذلك في الشهادة على صدق الرسالة قال {كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب} فأثبت وجود أناس عندهم علم الكتاب يصلحون لكي يُذكَروا في آية واحدة مع شهادة الله، وسمّاهم في آية أخرى فقال {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم} فأثبت شهادتهم في صفّ شهادة الملائكة. كذلك قال {اسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك} وأجاز ذلك، ولو كان سؤال الذين يقرأون الكتاب من قبلك

شركاً لما أمره الله به ودلّه عليه. بعض الناس قرأوا كتاب الله قبلك، وسافروا في طريق المعرفة قبلك، ورفعهم الله درجات أرفع منك فإن {فوق كل ذي علم عليم}، فلا شيء في التعلّم منهم بل التعلّم منهم هو عين العقل، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين والمؤمنات {إنما وليّكم الله ورسوله والذين ءامنوا} بالتالي تولّي الرسول والذين ءامنوا هو من عين ولاية الله، فليس شركاً بالله.

الخلاصة هي وجوب التفريق بين التعلّم من أعداء الله وخصوم كتاب الله والذين يحرّفون كتاب الله، وبين التعلّم من أولياء الله وأتباع كتاب الله والذين يعقلون كتاب الله. هذا أمر. والأمر الآخر، لابد من التفريق بين تعليم كتاب الله وبين ادعاء تعليم كتاب الله مع أن الواقع تعليم عقائد ومذاهب خالفت كتاب الله، وللقيام بهذا التفريق حين تقرأ أو تسمع لشخص يدعي شرح كتاب الله أو اتباعه فاسأله عن البيّنة وشرح فكرته بالآيات وتفصيلها منه.

...

قال: لديّ تأمل في الذكورة والأنوثة بالقرآن وارتباط ذلك بقوم لوط والملائكة المرسلين إليه، سأطرحه عليك لعلّك تثمر لي فيه. "وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ"

"أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ"

"قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ"

"إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ"

"وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ"

"فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ"

"أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ"

هل الجهل الذي وقع فيه قوم لوط مع المرسلين هو ذاته الجهل الذي نبه عليه القرآن في اعتبار الملائكة إناث؟

وما معنى أنّ الملائكة ذكور وليس إناث، وكيف يكون وجه الضلال عند اعتبارهم إناثًا وإتيانهم بدلًا من النساء؟

أظن الآية التالية فيها مفتاح:

"إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا"

قلت: أين قال أن الملائكة "ذكور"؟ تمثّل الملائكة بصورة رجال لا يعني أنهم رجال لكنه من باب "فتمثّل لها بشراً سوياً". الذكورة والأنوثة من أوصاف الأبدان الطبيعية، والملائكة ليسوا أبدان طبيعية أرضية بل كائنات سماوية. الآن، قد يكون فيهم معنى الذكورة والأنوثة بتأويل خاص

بحسب نفوسهم السماوية، على اعتبار أنهم أزواج أيضاً لقوله "من كل شيء خلقنا زوجين" وقوله "إذا النفوس زُوجت" والنفس سماوية.

قوم لوط مثل المشركين، كانوا يرون الجسم بدون النفس والروح. رؤيتهم مادية بحتة. لذلك مثلاً رأوا الملائكة كرجال طبيعيين فقط، ولم يروهم كملائكة ومرسلين وهي خاصية نفسية وروحية باطنية.

بدلاً من أن يأخذوا عن الملائكة المرسلين رسالتهم، اعتبروا الملائكة إناث. الفرق: الملائكة حين تعطي الرسالة تكون بمثابة الذكر الذي يُلقى المني للأنثى بحسب المثال الصوري، يعني الملائكة تفعل وتُلقي والمؤمن يقبل ويأخذ منها. لكن حين يدعي شخص أن الملائكة إناث فكأنه قال أنها لا تعطي، كالذي يقول بأن آيات الله لا تعطي معاني بل نحن نقذف معانينا فيها، وأن الكتاب لا معنى له إلا بحسب ما نضع نحن فيه، فجعل كلمتهم هم ذكراًو كلمات الله جعله أنثى.

إتيان الرجال شهوة لا يثمر ولداً، خلافاً لإتيان النساء عادةً. والتأويل: العمل للآخرة يثمر فلاحاً أبدياً، لكن العمل للدنيا عمل عقيم لأن الدنيا فانية "كل مَن عليها فان". لابد من نكاح المخالف لك في الجنس حتى تثمر، كذلك لابد من معرفة الإله المغاير لك في الصفة حتى تفلح فإن الإله غير العبد مطلقاً.

قال (عن فقرة "بدلاً من أن يأخذوا عن الملائكة"): هذا المعنى الذي أفهمه، ولكن هل لي بمثال لخطأ قد يقع فيه العبد بطريقه يدل على إنه سمّى الملائكة تسمية الأنثى؟

فقلت: لو كان لا يستفيد معاني جديدة مغايرة لعقيدته ومذهبه حين يقرأ آيات الله وكلام النبوة.

وقال (عن فقرة "قوم لوط مثل المشركين"): أرى أنّ القصة فيها معاني أعمق من هذا، وفيها سرّ رئيس غائب. واستغربت أنّ الشيخ الأكبر لم يتحدث عن هذه القصة إلّا من جهة آية "أو آوي إلى ركن شديد"

فقلت: دائماً توجد معاني أعمق، فالقرءان له باطن وباطنه له باطن إلى الباطن تعالى. والمعنى الأعمق لا يناقض المعنى الأقل عمقاً.

فما هو السر الذي تشعر به؟

...

جاء في الرواية أن سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة من خواص النبي صلى الله عليه وسلم. ما الرابط بينهما؟

الفاتحة من ثلاث مقاطع، وخواتيم سورة البقرة من ثلاث آيات، وكل آية منها تتناسب مع مقطع من الفاتحة.

١-قوله تعالى في الفاتحة {بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين.} يتناسب مع قوله في البقرة {لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذّب مَن يشاء والله على كل شيء قدير.}

فقوله {لله} يتناسب مع {بسم الله}، كلاهما يبدأ بحرف والاسم الإلهي. وقوله {لله} أيضاً يتناسب مع {الحمد لله}.

وقوله {ما في السموات وما في الأرض} يتناسب مع {العالمين}. هذا وجه. وملكية لله لهما شرح لقوله {رب العالمين}. كذلك، السموات والأرض مظاهر للرحمن الرحيم، من حيث أن الرحمن أوسع من الرحيم في الدلالة والرحيم متضمن في الرحمن، كذلك السموات أوسع من الأرض والأرض في محيط السموات.

وقوله {وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه} يتناسب مع {الرحمن الرحيم} الثانية، على اعتبار أن ما يبدو يتضمّن ما خفي لأن ما يبدو إنما يُبدي ما خفي فهو أوسع منه دلالة لكن ما خفي لا يتضمن ما يبدو إذ إخفائه يعني عدم بدوه، فكل ما بدا يشمل ما خفي لكن ليس كل ما خفي يشمل ما بدا. وكذلك معاني الرحيم متضمنة في الرحمن لكن ليس كل معاني الرحمن متضمنة في الرحيم، إذ الرحيم رحمة خالصة لكن الرحمن قد يُعذّب "يمسّك عذاب من الرحمن"، فالرحمن يتضمن الرحمة والعذاب لكن الرحيم رحمة فقط. فقوله {إن تبدوا} تحت حيطة اسم {الرحمن}، وقوله بعدها {أو تخفوه} تحت حيطة اسم {الرحيم}، وجاء الترتيب فيهما على ترتيب {الرحمن الرحيم} من الفاتحة، كما أن ذكر {لله ما في السموات وما في الأرض} جاء قبلها لكونه يوازي {الحمد لله رب العالمين} من الفاتحة.

وقوله {يحاسبكم به الله} يتناسب مع {مالك يوم الدين}، لأن الحساب من أفعال مالك يوم الدين الذي هو يوم الدينونة والمحاسبة.

وقوله {فيغفر لمن يشاء ويعذّب مَن يشاء} من آثار حكم {مالك يوم الدين}، فمَلِك يوم الدين سيحكم، وحكمه بحسب مشيئته، ومضمون حكمه إما المغفرة فالجنّة وإما العذاب فالنار.

وقوله {والله على كل شيء قدير} شرح آخر لاسم المالك والملك من {ملك يوم الدين}، ولذلك يرتبط ذكر القدرة الإلهية عادة في القرءان مع ذكر القيامة والبعث والحساب.

إذن، الآية الأولى من خواتيم سورة البقرة بيان وتفصيل من وجوه للمقطع الأول من سورة الفاتحة، أي المقطع الذي يشير إلى الله تعالى.

٢-قوله تعالى في الفاتحة {إياك نعبد وإياك نستعين} يتناسب مع قوله {ءامن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كُلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير}

هذه الآية تشرح كلمات {إياك نعبد وإياك نستعين}. فإذا سألت: مَن هم الذين يقولون {نعبد..نستعين}؟ الجواب: الرسول والمؤمنون. فإذا سألت: وكيف أدخل في المؤمنين؟ الجواب: {كُلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله}. وإذا سألت: وكيف أعبد وأُحقق {إياك نعبد}؟ فالجواب: {وقالوا سمعنا وأطعنا}، فالسمع والطاعة حقيقة العبادة، من جهة تلقّي الأمر الإلهي والعمل به، وأما {غفرانك ربنا} فتحقيق العبادة من جهة إظهار العبودية بالدعاء فإن "الدعاء مخّ العبادة" كما بيّن القرءان ذلك مراراً، وطلب المغفرة من الرب خلاصة الدعاء النافع لأن المغفرة تشمل كل ما هو ضدّ العذاب ولذلك تأتي ضدّها كما في الآية التي قبلها "فيغفر لمن يشاء ويعذّب مَن يشاء". فإذا قلت: وكيف أُحقق {وإياك نستعين}؟ فالجواب: بتعقّل حقيقة {وإليك المصير} فإن معرفة ذلك تجعلك لا تستعين إلا بالله إذ لن تصير إلا إليه فلن ينفعك غيره، وفي طلب المغفرة منه استعانة أيضاً على الستر من كل عذاب وذلك شامل لكل ضر مطلقاً.

هذه الآية إذن بيان عن العبد وصلته بربّه.

٣-قوله في الفاتحة {اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين} مبيّن في آخر آية من البقرة {لا يُكلّف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به، واعفُ عنّا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين}

أما قوله {لا يُكلّف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها اكتسبت} فهو شرح من جهة للصراط المستقيم، فإنه تكليف "فإما يأتينكم منّي هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون". الآية الأخيرة من الفاتحة بيان عن أنواع النفوس الثلاثة، وآية البقرة بيان لأساس

التكليف الذي عليه يتم تقسيم النفوس إلى تلك الأنواع الثلاثة. فتصنيف النفوس مبني على موقفها من التكليف، فحتى لا تتوهم بأن التصنيف مبني على جبرية إلهية قال {لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها} ففي وسعها قبول وجحد وترك التكليف، {لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت} وبناء على ذلك تدخل تحت أصناف المنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين، فهذه الأسماء آثار الكسب والاكتساب.

ثم ذكر ثلاثة أدعية وثلاثة أسئلة. كما ذكر في الفاتحة ثلاثة أصناف من النفوس بعد الحكم عليها.

الدعاء الأول {ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا} النسيان بعد التذكير قد يكون من الغفلة والغفلة سمة المغضوب عليهم، والخطأ عن الصواب بعد بيانه سمة الضالين لأنهم الذين ضلّوا عن الحكم الصحيح، فيدعو المنعم عليهم بعدم المؤاخذة على هذين النسيان والخطأ على اعتبار أنهم يسعون للذكر وللصواب ويقصدونهما.

الدعاء الثاني {ربنا لا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا} المغضوب عليهم ممن قبلنا هم الذين لم يبالوا بتبديل كلام الله استخفافاً بأمر الله، والضالين من قبلنا هم الذين لم يعتبروا بما وقع للذين من قبلنا. فجاء الدعاء هنا لبيان حال المنعم عليهم، فهم لا يصرّون على المعصية استخفافاً بأمر الله بل يعظّمون أمر الله، وكذلك يعتبرون بما مضى طلباً لمرضاة الله واتقاء لسخطه والعياذ بالله.

الدعاء الثالث {ربنا ولا تُحمّلنا ما لا طاقة لنا به} ليس المقصود بعدم الطاقة عدم الوسع وإلا لناقض قوله الخبري الصادق في أول الآية "لا يُكلِّف الله نفساً إلا وسعها"، فمن عناد الجبرية الادعاء بأن هذه العبارة تدل على جواز تحميل النفس ما لا طاقة لها به فذلك كفر بالقرءان بل بالآية ذاتها التي افتُتحت بضدّ ذلك، فما كان للمؤمنين أن يظنّوا في الله خلاف ما أخبر به الله عن نفسه، فيكفي صدق "لا يُكلّف الله نفساً إلا وسعها" ليبطل زعمهم في "ما لا طاقة لنا به". ويعزز هذا أن الفسقة فقط هم الذين زعموا بأن الله قد يكلفهم ما لا طاقة للعباد به كأصحاب طالوت الذين قالوا "لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده" والواقع أنه كان لهم بهم طاقة بالله تعالى "قال الذين يظنون أنهم مُلاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين" فالذي يظنّ أنه ملاقي الله والصابر له طاقة بجالوت وجنوده، وهذا الظن والصبر في وسع النفس، بالتالي لهم طاقة بهم، لكن لا طاقة لهم بهم مع غياب الظن والصبر المذكورين. فدعاء {لا تُحمّلنا ما لا طاقة لنا به} يشير بلغة السلب، وهي لغة الأدعية الثلاثة، إلى تأييد النفس بالظن والصبر وبقية الشروط العقلية والإرادية الكافية للقيام بأمر الله، وأن لا يسلبهم هذه الأمور لقوله تعالى "ما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله" وقوله "وما صبرك إلا

بالله"، بالتالي دعاء {لا تُحمّلنا} يعني: لا تسلبنا تأييدك لعقولنا وإرادتنا. المغضوب عليهم هنا هم الذين لا يستعينون بالله لإقامة أمر الله، الضالون هنا هم الذين يستعينون بغير الله ظناً أن ذلك سيعطيهم طاقة لتحقيق ما يصبون إليه. هذا وجه.

وجه آخر في ربط الأدعية الثلاثة بالفاتحة هو التالي: النسيان والخطأ ضدّ النعمة، والإصر دليل الغضب، والعجز دليل الضلال. فكل دعاء يتناسب مع اسم من الأسماء الثلاثة.

والصفات السلبية الثلاثة في الأدعية الثلاثة هي بيان بلغة السلب لحقائق الصراط المستقيم الذي يسألون الهداية له. ولا يخفى علاقة {اهدنا} بالأدعية الثلاثة، بل وبالأسئلة والأدعية كلها الواردة في آخر آية البقرة.

ثم ذكر ثلاث أسئلة إيجابية، {واعفُ عنّا واغفر لنا وارحمنا}، فالصراط المستقيم من حيث إجماله ومن حيث تفصيله يتضمّن إثبات صفات ونفي صفات عن النفس، كما أنه في الفاتحة أثبت صفات بقوله {صراط الذين أنعمت عليهم} ثم نفى صفات بقوله {غير المغضوب عليهم ولا الضالين}، كذلك هنا في البقرة نفى صفات {لا تؤاخذنا..لا تحمل علينا..لا تُحمّلنا}، وأثبت صفات {اعفُ عنّا واغفر لنا وارحمنا}. آخر الفاتحة إثبات ثم نفي، وآخر البقرة نفي ثم إثبات. فبدأ الأمر وانتهى بالإثبات بالجمع بين الآيتين، على اعتبار أن الإثبات وجود والنفس سعادتها الأصلية في الوجود وسمات الوجود.

ثم قال {أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين}. فقولهم {أنت مولانا} مثل {اهدنا} بل كونه {مولانا} هو {أنعمت عليهم} أي أنعمت عليهم بأن كنت مولاهم، "الله مولى الذين ءامنوا وأن الكافرين لا مولى لهم" فكون الله مولى الذين آمنوا أعظم نعمة أنعمها عليهم، كما أن سلبهم مولويته عن الكافرين من أعظم علامات الغضب عليهم والضلال فيهم. وختم بقولهم {فانصرنا} وهو لون آخر لدعاء {اهدنا}، وقولهم {على القوم الكافرين} شرحه بقوله {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} فإن هؤلاء هم الكافرين من حيث التفصيل، وأعظم نصر هو تمييزهم عن المغضوب عليهم والضالين في الدنيا بأن لا يصير للكافرين عليهم سبيلاً بل ينصرهم عليهم ويعطيهم الغلبة، وفي الآخرة بتمييزهم عنهم في الدار والتفريق بينهم ما داموا في ظلمة الكفر إلى الأبد.

الحاصل: الآية الأولى من خواتيم البقرة تفصيل لذكر الله في أوائل الفاتحة. الآية الثانية من البقرة تفصيل لذكر عباد الله في وسط الفاتحة. الآية الثالثة من آخر البقرة تفصيل لدعاء عباد الله المنعم عليهم المشار إليهم في آخر الفاتحة.

...

أرسلت لي وأنا لا أعرفها ما يلي: اختي تعبت بسببك وبسبب كتبك. حسبي الله ونعم الوكيل فيك ان كنت السبب. لا انا ولا اهلي مسامحينك الى يوم القيامه حسبي الله عليك. باذن الله حسابنا يوم القيامه انا واهلي جميعهم خصومك حسبي الله ونعم الوكيل فيك.

فقلت (ولولا ذكرها الله والقيامة وإن بوجه باطل لقلت أشدّ مما قلت) ما يلي:

"ويدعُ الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا"

ادعي بدعاء أفضل من هذا، والله لا يجعلكم من خصومي يوم القيامة ببركة أختك فقط، لأن خصومي بسبب دعوتي وكتبي ما يكونوا إلا من الكفار أو المنافقين أو الجاهلين، وكل هؤلاء في النار.

والأفضل بدل ما تحرقي نفسك وتجرّي المصايب على أهلك بمثل هذا الكلام معي هو أنك تقولي لي ايش مشكلة أختك حتى أنصحها وأنصحك.

...

قالت بعدما قرأت مقالة لي: من يومين عندي سؤال بس ما عرفت شلون اصيغه صح. بس من خلال الكلام المكتوب يمكن قدرت الاقي له مدخل. اذا كان الفكر يسبح في الاحتمالات ويحتمل الخطأ .. واذا كان القلب مصدر القرار او التوجه .. واذا كان لازم نطهر القلب علشان يوجهنا للفكرة الصائبة. (الفكرة الصائبة) بالنسبة لأي مقياس اذا احنا نحط هذي المقاييس حسب افكارنا او ما نستقبل من الاحتمالات. ما اعرف اذا شرحت صح بس هالسؤال بالنسبه لي قديم ومن زمان يراودني .. اذا كل انسان يعتبر نفسه صح وطائفته صح وفكره صح وين المصدر الصحيح والاساسي؟ وهل هذا الشي تحديداً يكون داخلنا علشان نظل بحالة صلة ودعاء.

أقول: كل فكرة لها "صح" مناسب لموضوعها. لكن بشكل عام يمكن القول أن الوجود هو معيار الفكرة الصائبة.

الفكرة تدور حول هذه الأمور. إما ذات شيء، وإما صفاته، وإما فعله، وإما آثاره، وإما علاقته بالأشياء الأخرى من هذه الجهات. بالتالي، يتغيّر الحكم على الأفكار بحسب مضمونها. لكن في الجملة المدار هو عن بحث "الوجود" الذي تدل عليه الفكرة. هذه الفكرة من حيث كونها صواباً من جهة الوجود. فهذا أول جانب للحكم على الفكرة، يعني مدى صدق دلالتها على الوجود.

مثال ذلك، عندك فكرة عن وجود ذات شخص اسمه "المسيح الدجال"، وأن صفته العين الممسوخة، وفعله يأتي بجنّة لكنها نار، وأثر فعله إضلال أكثر الناس، وعلاقته بالمؤمنين المحاربة وعلاقته بالكافرين إمامته لهم. هذا مثال مختزل لكن لتقريب المعنى فقط. الآن، ما مدى صواب

هذه الفكرة؟ لابد من وجود دليل يثبت وجود هذا الشخص بهذه الصفات والأفعال والآثار والعلاقات. كيف نعرف وجود الأشياء؟ لابد من السؤال أولاً: أين مستوى وجود المسيح الدجال؟ هل هو المستوى الطبيعي المادي؟ هل هو المستوى النفسي؟ هل هو المستوى الروحاني؟ وهكذا في بقية مستويات الوجود. ثم كل مستوى له طرق خاصة لمعرفة الموجود فيه. لكن إن قلنا اختصاراً بأن طريق معرفة ذلك هو خبر النبي، فيبقى البحث محصوراً في إثبات كون الرواية عن النبي صحيحة أم لا من حيث السند، فإن صحّ الخبر عن النبي فالفكرة صائبة وإن لم يصحّ فالفكرة خاطئة أو مجهولة ولا حكم لنا عليها.

ما مضى هو صواب الفكرة من حيث واقعها الوجودي. لكن الفكرة أيضاً قد تكون صحيحة من حيث واقعها النفساني الشخصي الذاتي. بمعنى أن ذات المُفكِّر قد تجد أثراً لطيفاً محبوباً، فيعتبر أن الفكرة "صحيحة" بمعنى أنها تجعل نفسه في حال الصحّة والسلامة والقوة والسعادة، أي تجعله يشعر نفسانياً بشعور يودّ استمراره، خلافاً لشعور الألم الذي هو شعور يودّ الإنسان انقطاعه. فبغض النظر عن الجانب الوجودي للفكرة، الجانب النفساني وحده قد يكفي لاعتقاد النفس بالفكرة وتعزيز وجودها بتذكّرها وذكرها والتمسّك بمظاهرها والمذكّرات بها كالكلمات والصور والأماكن والمشاعر والملابس وما أشبه من أمور تثير في الذهن تلك الفكرة.

قبل الحكم على أي فكرة لابد من التمييز ما بين جانب الوجود وجانب الشعور. هذا أوّلاً. وثانياً، لابد من التمييز ما بين مستويات الوجود المنسوبة لها الفكرة. وثالثاً، لابد من تبيين طرق معرفة صدق نسبة الموجود المُتصوَّر إلى مستواه.

سؤالك عام، فأجبتك بجواب عام فيه شيء من التفصيل.

وأما ذكرك لصوابية الطائفة، فإن قصدتي الطوائف الإسلامية، فأهمّ وأكبر معيار للحكم على الصواب هو ما في كتاب الله. فمَن كانت حجّته من كتاب الله فهو على صواب بشكل عام، إن أحسن الاستدلال. فإن قلتي: وما هو الاستدلال الحسن؟ الواقع أن الاختلاف قائم بشكل عام في التفاصيل، لكن توجد معايير متفق عليها بين العلماء، أو يمكن استنباطها من كلام جميع الطوائف حين تتبعي كلامهم في كتبهم ومجالسهم المختلفة. لكن حتى إن افترضنا أنه لا سبيل إلى معرفة الاستدلال الحسن من السيء، فإن الفكرة المصيبة هي التي لدى صاحبها قناعة صادقة بأنها صائبة بعد جهاد في معرفة قول الله تعالى فيها، فحينها حتى لو أخطأ فهو مصيب عند الله. ويشهد لهذا المعنى قوله "لا يُكلّف الله نفساً إلا وسعها"، وكذلك لاحظي قوله في الذين لا يأتون بأربعة شهداء بعد الرمي بالفاحشة فقد قال عنهم أنهم "عند الله هم الكاذبون"، ففي الظاهر إذا جاء الرامي بالفاحشة بثلاثة شهداء فهو عند الله من الكاذبين،

حتى لو كان الواقع الحسّي هو فعلاً وقوع الفاحشة وكون الثلاثة صادقين، إلا أنهم "عند الله" من الكاذبين لأنهم لم يأتوا بالشروط الشرعية للشهادة، فهنا تمييز بين الصدق الواقعي والصدق الشرعي الإجرائي، فمن جاء بغير الإجراءات الشرعية الصحيحة فهو كاذب في الحكم وإن كان صادقاً في الواقع والحس. كذلك في موضوعنا، الذي يجاهد في سبيل معرفة أمر الله ودينه، ويصدق القصد ويخلص النية ويوجّه قلبه لمعرفة الحق، فهو عند الله مصيب وإن أخطأ، بل الله تعالى يتولّى مثل هذا بعنايته لقوله "سيريكم آياته فتعرفونها" وقوله "مَن يؤمن بالله يهدِ قلبه".

إذن، في الأمور الدينية، مدار الصواب على صدق القلب في إرادة معرفة الحق، ثم باتباع كتاب الله ورسل الله، ثم بالاستدلال المعقول من حيث اللسان والروابط الفكرية المنطقية أثناء الاستنباط من نصوص الكتاب.

وإذا أردتي زبدة الزبدة فهي في كلمتين: انتظار المكاشفة. يعني أن تخلي قلبك مما سوى الله، وتتوجّهي بكامل الهمّة إلى الله، وتسأليه أن يريك حقائق الأمور، وتنتظري الفرج منه، وهو أرحم الراحمين.

...

قال: ماهي المعلومات التي يُباح نشرها للعامة وماهي الضوابط. عندما يدرك الفرد معلومة قرآنية من خلال الاجتهاد أو حتى تأتي بهيئة حسيّة ويريد نشرها للاستفادة يتخوف لهذا الايه (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) وسؤال من هو اَهلًا لها ؟ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا.

أقول: إباحة بعض المعلومات وتحريم بعض المعلومات هو مظهر من مظاهر تحليل وتحريم بعض المأكولات الذي ذكره القرءان من عمل المشركين. كما أن المشركين حرّموا من عند أنفسهم وقالوا "هذا حلال وهذا حرام" في مأكولات الحِسّ، كذلك فعل الذين لا يعلمون من هذه الأمّة مثل فعلهم بالنسبة لمأكولات النفس التي هي المعلومات.

كل المعلومات مباحة النشر للعامّة، بل واجبة النشر. ديننا دين العامّة، ليس دين الكهنة. ومن هنا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم "عليكم بالجماعة والعامة والمسجد"، فذكر المسجد هنا لأنه بيت الله المفتوح للعامّة خلافاً لأماكن الاجتماعات السرّية التي تجتمع فيها " الخاصة" و "النخبة".

وبناء على هذا الأصل كان القرءان الذي هو أعظم كتاب معلومات وفيه كل الأنوار و"الأسرار"، كان منشوراً في العامّة ويقرأه من أول يوم الصغير والكبير والمرأة والرجل والمستعبد والحر والأسود والأبيض. هذه الطريقة ثورة دينية في ذلك العصر، وقد ارتدّ الأمر

إلى جاهليته الأولى بعد ذلك حتى في هذه الأمّة من وجه حين تم تقسيم الناس إلى عامّة وغير عامّة مع تحريم وتحليل لبعض المعلومات. في الأرض كلها تم تقسيم أهل الأديان إلى عامّة ونخبة، مع تحريم بعض المعلومات أو أكثرها عن العامّة، على اختلاف بين أهل الأديان والفلسفات في ذلك في الجزئيات مع اتفاقهم على أصل وجوب حجب بعض المعلومات عن العامّة، وأحياناً كثيرة تم حجب أصل أصول معرفة المعلومات الذي هو القراءة والكتابة فاقتلعوا شجرة المعرفة من جذورها واختصروا الطريق على أنفسهم.

أما ذكرك للتخوف من اية {يضلّونهم بغير علم} فجوابك في الآية ذاتها. تأمل {يضلونهم}، والكلام عن القرءان بشكل عام ومن حيث المبدأ ليس ضلالا لأن القرءان كتاب الهدى، فالآية تتحدث عن غير أتباع كتاب الله والداعين إليه. ثم تأمل قيد {بغير علم} من "يضلونهم بغير علم"، فخرج من هذا الذين ينشرون بعلم.

الأحق بالخوف هو الذي لا ينشر ما عرفه من القرءان، بالاجتهاد كما ذكرت. لأن الله قال " إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون". ثم بيّن أن المخرج الوحيد هو بالتوبة والإصلاح والتبيين "وبيّنوا". وقال "لتبيّننه للناس ولا تكتمونه"، فأمر بالتبيين المطلق لأنه نهى عن الكتمان بعد الأمر بالتبيين ليشير إلى الإطلاق في التبيين، وإلا لو كانت فقط "لتبيننه للناس" بدون "ولا تكتمونه" فلعل بعض الناس يرى حجّة في الجمع بين التبيين والكتم، فيبين البعض ويكتم البعض، فحتى ينقض هذا الوهم من أساسه جمع بين الأمر بالتبيين والنهي عن الكتم مع كونه ضدّه، حتى لا تحتمل المسألة أيضاً فكرة الاختلاف في أصل "هل الأمر بشيء نهي تلقائي عن ضدّه". الكاتم أحق بالخوف من المبيّن.

وقد قلت في سؤالك أنه عرف المعلومة القرآنية بالاجتهاد. والمجتهد مأمور بالعمل بحسب اجتهاده، وممنوع مما سوى ذلك بحسب الأصول عموماً. "لا يُكلّف الله نفساً إلا ما آتاها". فطالما أنه آتاك المعلومة فأنت مُكلَّف بالعمل بها وبحسب مقتضاها.

وقولك أنه عرف المعلومة القرآنية لأنها أتته "بهيئة حسّية"، فليس بعد الحِسّ بيان.

أما قولك بأنه يتخوف من إضلال الناس، فهذا تخوف من الشيطان. أوّلاً، لأن بعض الناس قد يضل لكن بعضهم الآخر قد يهتدي بالمعلومة، فمَن اهتدى فقد أحسن ومَن ضلّ فهو المسؤول عن ضلاله لأن المعلومة بحد ذاتها لم تضلّه. ثانياً، قال الله في القرءآن ذاته "ليزيدن كثيراً منهم ما أُنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً" فلم يبالي الله بهذا الأثر السلبي لظهور القرءان ونشره، كذلك قال في الأمثال "يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً" فأثبت ضلال الكثيرين بأمثال القرءان ومع ذلك ضربها وذكرها وأمر بنشرها ولو بتحمّل صعوبات الهجرة والقتال.

ناشر المعلومة غير مسؤول عن ضلال بعض الناس بسبب ما أخذوه منها، لكنه مسؤول عن كتمها ومتوعد على ذلك باللعن العظيم، ثم هو مأجور على نشرها، ثم هو مأجور بمثل أجور كل مَن صدّقها وعمل بها إلى يوم القيامة. فخير النشر أعظم من كل وجه.

أما سؤالك عن آية {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها}، فإن كل معلومة قرآنية تنكشف لك هي أمانة عندك، وأهل هذه المعلومة هم كل قابل لها، فعليك أن تؤديها إلى الناس، فرُبّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه ورُبّ حامل فقه ليس بفقيه كما في الحديث المشهور. أموالك المادية ستُقسَّم من بعدك، جسمك سيأكله التراب، الشيء الوحيد الذي تتميّز به والذي إن كتمته سيضيع إلى الأبد هو المعلومات والكلمات التي يرزقك الله إياها، فإن لكل نفس أنفاسها الخاصة ورزقها العلمي الخاص، فإذا كتمته وقتلته وحجبته حُرم الناس من ذلك. فأكبر خيانة هي كتم المعلومة، وأخطر خيانة هي قتل الكلمة.

قول البعض أن أهل بيان العلم هم فئة خاصة من المسلمين حصراً، هو أثر من آثار الجاهلية الأولى في هذه الأمّة التي ستتبع سنن من قبلها وقد فعلت ولا زال فيها مَن يفعل ذلك. هو وهم خالص لا حاصل له. فكل فئة تعتبر نفسها "أهل" ذلك، وأي شرط تضعه هو إما شرط متوفر في غيرها من الفئات التي تعارضها وإما شرط موضوع بالهوى والتحزّب المحض، عادةً. الحق هو أن القرءان بأيدينا كلنا، ولو أراد الله ورسوله أن يبيّن القرءان فئة خاصة فقط هم " أهل" ذلك لما جعل القرءان إلا في أيدي هذه الفئة تتوارثه كابراً عن كابر ويخفونه عن باقي الناس من سواهم، ولكان تأسيس النبي لكنيسة إسلامية ذات كهنوت وراثي مغلق هو عين العقل والرحمة بالأمّة، لكنه لم يفعل. القرءان عند الكل، والكل مأمور بالقرءان بل وبالسنة بأن يجعل تعلّم القرءان أهمّ وأكبر أشغاله، ولا يوجد شيء أولى بشغل المسلمين من القرءان من الأعمال الدينية فضلاً عن أن تكون الدنيا والانغماس فيها هي العائق عن الاشتغال بالقرءان تعلّماً وتعليماً. {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب}، الكل يدبر آياته. ثم بعد ذلك، يحصل النقاش والأخذ والرد بين المسلمين طلباً لمعرفة لباب القرءان، وهذا أمر حسن ونافع، ومَن زعم أنه يتعلّم بغير أن يُخطىء ويتم تصويبه فقد ادعى علماً إلهياً بل ادعى نوعاً من الألوهية. صلاح أمّتنا وبداية حياتها هو صيرورة تعلّم القرءان وتعليمه مركز أعمالها وأكبر شغلها، "خيركم مَن تعلّم القرءان وعلّمه" {كنتم خير أمّة أُخرجت للناس} فهي أمّة تعلّم القرءآن وتعليمه، وعلى هذا الأساس تأمر بالمعروف لأنها عرفت المعروف بالقرءان، وتنهى عن المنكر لأنها عرفت المنكر بالقرءان، وتؤمن بالله لأنها آمنت بالله الذي أنزل القرءان وكشف حقيقة معرفته القرءان {إنا سمعنا قرءاناً عجباً. يهدي إلى الرُشد فآمنّا به ولن نُشرك بربّنا أحدا} {ولّوا إلى قومهم منذرين}.

...
{هو الذي أنزل عليك الكتاب} من ١١٤ سورة.
{منه آيات محكمات} آيات سورة التوبة.
(وأُخَر متشابهات} باقي آيات السور، حين لا يُحكَم عليها بحسب مضامين سورة التوبة تُمسي من المتشابهات.

...
أرسل لي صاحب لي مقطعاً لشباب إسلاميين يتضاربون مع أوروبيين يريدون حرق المصحف، واستطاع أحد الشباب إنقاذ المصحف من الحرق، فقلت للذي أرسله: ان شاء يبدأوا يقرأوه الآن بعدما أنقذوه.

إلا أن الرسالة جاءتني منه في وقت مخصوص لحال كنت عليه، والرسالة التي وصلتني من باطن رسالته هي: سينقذك الله مما أنت فيه. وفعلاً وردي من القرءان في هذا اليوم الذي وصلتني رسالته كان عن استجابة الله لأيوب وذي النون وزكريا بعد ما مسّهم الضرّ والغم والعجز. فالحمد لله.

وبعدها خطر لي طريقة أخرى للاحتجاج على حرق المصحف، بدلاً من هذا الشغب والعدوان: أن يذهب مسلمون ومسلمات بكامل لباسهم "الإسلامي" وكل واحد يحمل مصحفاً، ويقرأوا كلّهم من المصحف بصوت عالي آيات أو سورة واحدة يتلونها كلهم معاً. وبعد هذا الخاطر جاءني أن يقرأوا آية الكرسي تحديداً بنيّة قتل حارق المصحف (جاءني هذا من كون آية قتل داود جالوت مرآتها في المصحف هي آية الكرسي. ويعزز هذا المعنى ما أخبرني به والدي من تجاربه الكثيرة مع آية الكرسي واستجابة الدعاء أيا كان مضمونه.)

...
قال ما حاصله: هل تنفع الأذكار لدخول الجنّة بغض النظر عن عمل الإنسان الفاسد والطاغي، وألا يشبه هذا ما عند المسيحيين من مغفرة الخطايا بمجرّد الاعتراف الصوري للقِس.

أقول: قال الله تعالى {يا أيها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون}. الأقوال وإن كانت صحيحة ومرضية من حيث مضمونها، لابد من اقترانها بالأفعال وإلا حصل المقت الإلهي والعياذ بالله. هذا هو المبدأ الصحيح الذي ينبغي الأخذ به وتعليمه والبناء عليه.

أما الأذكار، فظننا بالله أن يأخذ بيد وقلب صاحب الأذكار ولو كان يذكر مع غفلة القلب. بل التحقيق أنه يستحيل وجود ذكر بدون نوع من حضور القلب ولو مقدار ذرّة، وذرّة من نور

ذكر الله تكفي لإضاءة النفس كما أن أصغر شمعة يمكن أن تنفع التائه في الليلة الدهماء في الصحراء الخالية، فوجودها أحسن من عدمها.

{يا أيها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً.} فقرن الذكر بالكثرة، والكثرة في الأصل اعتبار عددي. ورتّب الله على ذكره وتسبيحه {هو الذي يصلّي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً} بالتالي الذكر والتسبيح سبب، والأثر صلاة الله وملائكته والتنوير والرحمة الخاصة. فلا ينبغي الاستقلال بعظمة الذكر ومحوريته وجوهريته.

فكّر فيها، هل إذا قال إنسان كلاماً باطلاً مسيئاً في حق الله تعالى، ولو كان غير حاضر القلب تمام الحضور، هل يُعفيه ذلك من المسؤولية والآثار السلبية لتلك الأقوال؟ كلا، النفس تتأثر بالأقوال، والعقل يتشكّل بالأقوال، شعرت أم لم تشعر. بل أكثر الإعلانات التجارية والأفلام السينمائية مثلاً تعتمد على إيصال إيحاءات إلى اللاشعور وتغيير النفوس والذهنيات عبر الطرق غير المباشرة، فأنت تظن أنك تشاهد شيئاً لكن الواقع هو تمرير رسالة مبطنّة إلى ذهنك عبر تلك الصورة الجذّابة للإعلان أو الفيلم. الآن، إذا كان هذا هو الحال في الرسائل السيئة، فلأن يكون كذلك في الرسائل الحسنة من باب أولى، فالذهن هو الذهن والقول هو القول في الحالتين. افترض أن شخصاً يقول "لا إله إلا اللات والعزّى" ويكرر هذه العبارة، ولو تقليداً لآبائه، فإنه يكتسب بذلك سيئة بالضرورة وتتشوّه نفسه ويُظلم قلبه بسببها. فمن باب أولى أن يكون قائل "لا إله إلا الله" فاتحاً لقلبه بإذن الله باب الحسنات، ولو كانت كامنة وغير بارزة في وعيه وعلى فعله، فعلى الأقلّ لديه الاستعداد المبطّن لقبول معاني "لا إله إلا الله" ولوازمها الفعلية حين تُقتَرَح عليه من خارجه أو لعل الله يفتح له بها ويرحمه بها ولو بعد حين.

أُخبرك عن حادثة حصلت لي حين كنت صغيراً، حين كنت في صف الخامس الابتدائي، يعني تقريباً عمري إحدى عشرة سنة. كنت أرى كوابيساً أحياناً، ولا أذكر أين سمعت ذلك ولعله في المدرسة، سمعت أن قراءة آية الكرسي قبل النوم تجعل الله يحرسك أثناء النوم، أو شيء من هذا القبيل. فرجعت إلى البيت وكتبت اية الكرسي على ورقة صغيرة ووضعتها جنب سريري حتى أقرأها قبل النوم لأني لم أكن أحفظها، وفعلاً لما قرأتها في تلك الليلة أخذني الحال قبل النوم ورأيت نفسي عارجاً في السماء حتى وصلت إلى سقف الكون تحت العرش وقلت حينها "ماذا يوجد فوق العرش" وبمجرّد ما قلت هذا أُخِذت إلى ما فوقه فإذا بي في ساحة المطلق ونمت حينها ولا أذكر ما حصل لي بعد ذلك. ومن بعدها بفضل الله تعالى، وبدون أي تدخل من أهلي ولا عادة أصحابي، جعلني الله أحافظ على الصلوات الخمس حتى حصل ما حصل بعد ذلك من فضل الله وفتحه ونصره ولا زال يحصل بحمد الله وحده. وإلى

اليوم، بعد أكثر من عشرين سنة، لا أزال بفضل الله بشكل عام أقرأ آية الكرسي قبل النوم، وفُتحت لي فيها فتوحات علمية لا أحصيها.

أما عن قولك " هل يكفي الذكر عندما نقوله بنية أننا نود دخول الجنة وليس بنية الذكر لذاته"، فما معنى "الذكر لذاته"؟ إذا كان الله تعالى قد أمر بالذكر ورتّب عليه صلاته وملائكته والتنوير والرحمة، فكيف يُراد من العبد أن يذكر الذكر "لذاته" فقط؟ لو أراد الله هذا لما رتّب ولما أخبر عن آثار الذكر المتعددة. النفس سعادتها في فتح أبواب السماء لها ودخولها الجنّة التي هي عند الله وهي مظهر رحمة الله، وطريق ذلك كلّه هو الذكر ومفتاحه الأعظم هو الذكر. لا يوجد ولا يمكن أن يوجد إنسان يفعل شيئاً "لذاته". الفعل سبب، والسبب يُراد لأثره. فكل فعل إنما هو لتحصيل أثر ما. المقصود لذاته هو السعادة والنعيم النفسي. كل ما سوى ذلك وسيلة لغيره. حتى التوحيد وسيلة، كما قال "ولا تجعل مع الله إلهاً آخراً فتُلقى في جهنّم" فجعل التوحيد سبباً للجنّة كما أن الشرك سبباً للنار. النفس تريد سعادتها، كل شيء يفعل لتفعيل أو لتكميل ذاته. الفعل إما تعبير عن الكامن في النفس، وإما تغيير لحال مسيئة للنفس. والتعبير يحصل لأن النفس تريد الامتداد والتوسّع والظهور ولا تريد التقيّد في الباطن دون الظاهر. والتغيير يحصل لأن المثل الأعلى للنفس يخالف واقع النفس، والسعادة تكمن في مطابقة الواقع للمثل الأعلى، لأن المثل الأعلى يجذب الواقع تجاهه، وإذا كان الواقع مختلفاً عن المثل الأعلى سيشعر بالنقص والهبوط والضيق وهي أحوال مزعجة مؤلمة. بالتالي، النفس تفعل من أجل التعبير أو التغيير، والمقصود من الاثنين هو سعادة النفس. "فمنهم شقي وسعيد". القرءان الذي هو كتاب الذكر جاء من أجل إيصال النفوس المؤمنة للسعادة وإقامة الحجّة على أهل الشقاوة. فالقرءان وسيلة السعادة. بدليل أننا لو افترضنا ثبوت كون القرءان وذكر الله طريقاً للشقاوة الأبدية، كأن يأتي وحي من رب العالمين جدلاً يقول "مَن ذكر اسمي سأعذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين" و "مَن اتبع القرءان سأدخله النار"، فليس من العقل في شيء حينها الدخول في الذكر واتباع القرءان. بالتالي الذكر ليس مقصوداً لذاته أساساً.

أما عن اعتبارك الذكر "أسهل" على اعتبار أنه مجرّد كلمات، فهذا من وجه صحيح لكن من وجه آخر لا يصحّ. بل الذكر، كما ورد في حديث، هو واحد من أصعب الأمور على الإطلاق. من معجزات النفس الإنسانية القدرة على ذكر الله وقول تلك الكلمات ذات المضامين الفوق طبيعية. انظر كمّية الناس في الأرض الذين لا يذكرون الله ولا يتلون تلك الكلمات، وانظر صعوبة جذبهم وإقناعهم بل استحالة ذلك في بعض الحالات للقيام بذلك. الحمد لله أننا نعيش في أوساط اعتادت نعمة الذكر حتى صرنا نراه "أسهل" الأشياء، فهذه نعمة مغبونة ومنسية عند الأكثرية. الوعي المعتاد هو الوعي الطبيعي، أي الذي يتحدّث عن أمور الأكل والتمتع

وشيء من الخيالات والآمال الوهمية المادية ذات المضامين الحسّية الطبيعية والاجتماعية، هذا هو المعتاد. أما التحدّث باسم الله وكلام الله، فأمر غير عادي بل خارق للعادة حتى بحسب الصورة، لأنها تتجاوز تلك الأبعاد السفلية للوعي. الذاكر مع غفلة قلبه هو مع ذلك آية من آيات الله للناس. بالنسبة لنا معشر المسلمين، بحمد الله صرنا غرقى في النعم الإلهية حتى صرنا نتناقش أيهما أولي الذكر مع الحضور التام للقلب أو عدم ذلك، لكن بالنسبة للمحرومين من الذكر أصلاً صورةً ومعنى فحتى الغافل منّا عظيم النعمة والذكر والروحانية بالمقارنة.

بعد كل هذا، أتفهم مصدر كلامك وأوافقك على جوهره. فلدينا أناس كثر لعل قلوبهم قاسية بسبب الأذكار التي يقومون بها، وأفعالهم سيئة لأنهم ارتاحوا إلى وجود تلك الكلمات منهم. إلا أن الحسنة تغلب السيئة، والسيئة لا تغلب الحسنة. لذلك يوجد ميزان عند الله. فمن قال أو فعل شيئاً حسناً فهو في ميزان الحسنات، ومَن قال أو فعل شيئاً سيئاً فهو في ميزان السيئات إلا أن يغفر الله له ويعفو عنه ويرحمه. تارك الفعل الحسن لأنه اطمأن إلى القول الحسن ينبغي حثّه على الفعل الحسن بدون نهيه عن ذلك القول الحسن. كالذي يأكل الفواكه ويتعاطى المخدرات، لا ينبغي أن نقول له "اترك الفواكه" حتى نقنعه بترك المخدرات، وإن كان هو لجهله يعتقد بأن أكل الفواكه الصحية سيغنيه عن الآثار السيئة للمخدرات، لكن ينبغي بالعكس تذكيره بما يقوم به من حسنة الأكل الصحي التي هو عليها ودفعه لترك المخدرات حتى يُكمّل نفسه ولا يُبطل قيمة أكله الصحي بالتعاطي الضار المهلك.

الأصل في الأذكار أنها تعبير عن ما في القلب من أنوار، أو معابر للروح لتدخل من خلالها إلى تلك الأنوار. اقتران الأذكار بالأنوار جعل الكثير من الناس يعتبر صورة الأذكار هي روح الأنوار، وهي مغالطة شنيعة. ويشبه هذا إنساناً اعتاد رؤية زجاجة داخلها ماء، فأفرغ الزجاجة من الماء وصار يلعق الزجاج ويعتبره سبباً للارتواء. كيف يلطف الله بعباده هو شأن الله تعالى، وهو أعلم بما في نفوس الناس. لكن دورنا في الدعوة هو تنبيه الناس على أهمّية الذكر، وإيقاظ المسلمين ليصلوا إلى حقيقة الذكر.

...

دعوت الله بالأمس أن يرزقني جليساً صالحاً في المسجد. فوفّقني لقراءة سورة البقرة، ولم يُفتَح لي بمجالسة إنسان. فجاءني قول المتنبي "خير جليس في الزمان كتابُ"، وفعلاً قد وفقّني لمجالسة خير كتاب وهو القرءان، وخير سورة من القرءان وهي سورة البقرة، والتي فيها سيدة آي القرءان آية الكرسي، فاستجاب لي بغير الصورة التي ظننتها وإن لم أكن قد تلفّظت بإرادة مجالسة إنسان لكنّي سألت "جليساً" هكذا بالمطلق، والكتاب جليس، وكل سورة جليس،

وكل آية جليس. وأعظم من كل هذا قول الله في الحديث القدسي "أنا جليس مَن ذكرني". فالحمد لله رب العالمين.

...

{لا يسمعون حسيسها} لأنهم قرأوا البسملة. {وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون} لأنهم توسّلوا بالبسملة.

وأحد مظاهر ذلك: حين تقرأ البسملة يفرّ الشياطين ويكره مجالستك شياطين الإنس والجن لقوله "إذا ذكرت ربّك في القرءان وحده ولّوا على أدبارهم نفورا". فإذا دخلت القرءان بعد التسمية، صرت في ما تشتهيه نفسك، وليس جسمك، بل نفسك من الأمور العقلية والعرفانية ومعرفة الأمثال الحكمية الحقيقية.

...

{فامسحوا برؤوسكم} المسح فيه حركة بدليل "فطفق مسحاً بالسوق والأعناق"، ولا يكون مسح السوق والأعناق إلا بحركة اليد.

بالتالي الذين ذهبوا إلى أن {فامسحوا} في آية الطهارة تعني مجرّد إلصاق الكفّ بالرأس قد تركوا أمر المسح لصالح تأويلهم الخاص لحرف الباء من {برؤوسكم} الذي قالوا بأن أصل وضعه في اللغة هو الإلصاق، مع أن للباء ١٤ معنى على الأقلّ فأخذوا الإلصاق وتركوا أمر المسح وقرينته القرآنية المفسّرة له "فطفق مسحاً"، فإن المسح لم يرد إلا في نوعين من الآيات، إما آية الطهارة وإما آية سليمان، فحيث دخل الإشكال في فهم آية الطهارة وصارت متشابهة لذلك فلابد من إرجاعها إلى المعنى المحكم المفهوم من آية سليمان والمعنى المحكم فيها متحقق.

إلا أنه يمكن الردّعلى هذا بأن "فطفق مسحاً" تشير إلى الضرب، والضرب قد يكون بتمرير اليد على العضو المضروب أو قد تكون بحركة واحدة جهة موضع الضربة بدون إمرارها على العضو. وعلى هذا المعنى الثاني يكون وضع اليد على الناصية مثلاً الذي هو مذهب أهل الإلصاق مسحاً أيضاً لأن اليد تتحرّك فيه إلى موضع الرأس وتثبت عليه، فتشبه الضربة.

ويعزز مذهب إلصاق اليد معنى "ناصية كاذبة خاطئة" على اعتبار أن وضع اليد على ناصية الرأس إشارة إلى تطهير موضع العقل والإرادة من رأس النفس، فإن "كاذبة" عمل عقلي، و"خاطئة" عمل إرادي، والناصية موضع الأمرين.

ويعزز مذهب إمرار اليد على الرأس أن بقية مواضع الرأس تشير إلى معاني التطهير الأخرى من عمليات الدما غ الذي هو مركز القرار في الجسم الإنساني عموماً. ويعزز ذلك أيضاً استعمال كلمة {برؤوسكم} فذكر الرأس ولم يخصص الناصية، ولو أراد التخصيص لفعل، فلمّا ذكر الاسم الأعمّ كان المذهب المتناول لأعم معاني الرأس أولى بالعمل به.

لكن ورود حرف الباء {برؤوسكم} وغيابه في الوجه "اغسلوا وجوهكم"، يدل على إرادة معنى خاص من الباء، وإلا لقال "امسحوا رؤوسكم" ولدلّنا بذلك على مسح كل الرأس كما أننا نغسل كل الوجه لقوله "اغسلوا وجوهكم".

حكم الظاهر حمّال أوجه.

...

كل ما جاء في ظاهر الكتاب مما يحتمل أوجهاً جاء كذلك لأن الباطن داخل فيه، فلمّا أراد الإرشاد إلى الباطن جاءت العبارة الظاهرة غريبة أحياناً.

...

{يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مُخلّقة وغير مخلقة لنبيّن لكم ونُقرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم مَن يتوفى ومنكم مَن يُردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج}

ما علاقة أطوار خلق الإنسان والنبات بالبعث؟ ما وجه الحجّة؟

بدأ من التراب والنطفة، أي من البساطة، ثم تحرّكت عملية التطوير حتى وصلت إلى الأشد {لتبلغوا أشدّكم}. هنا بلغ الجسم أقصى تطوره، ولذلك لما بلغه قال {ومنكم مَن يتوفى ومنم مَن يُرد إلى أرذل العمر}، فذكر الوفاة بعد بلوغ الأشدّ أوّلاً لأن المقصود من التطور الجسماني هو الدلالة على التطور النفساني، فالنفس بعد بلوغ الجسم أشدّه تكون مستعدة لمغادرته لتُكمل تطورها في العالَم الآخر، فالأصل حدوث الوفاة بعد بلوغ الأشُدّ لأن ما بعده انحدار وانحطاط وانتكاس {ومنكم مَن يُرد إلى أرذل العمر} فأشار بهذا الاحتمال إلى وضع الجسم وأن تطوره ليس ذاتياً، أي تطور الإنسان ليس ذاتيا وبحسب رغبته وإلا لما وُجد الردّ إلى الأرذل أصلاً.

وجه الحجّة هو التطور. أي كوننا نرى الجسم يتطور، والنبات يتطور، فهذا يدل على أمور: منها وجود قوّة تُحرّك التطور وتجذبه نحو مثل أعلى إذ الحركة باتجاه الأعقد والأعظم لا تكون إلا بوجود ذلك المثل الأعلى الأعقد الأعظم في ناحية وجودية ويقوم بعد ذلك بجذب الصورة البسيطة نحوه. فكأنه يقول: أنت ترى جسمك يتطور إلى الأحسن، من الأضعف إلى الأشد، فكذلك حال النفس، ستتطور من الأضعف الدنيوي إلى الأشد الأخروي إلى ما لا نهاية. التطور لن يتوقف، فحتى إن انتكس الجسم فإن النفس في تطور مستمر، وهذا معنى خلود النفس، إذ التطور المستمر غير معقول إلا بالخلود. ولولا وجود الإله المطلق لما أمكن تصور التطور اللانهائي للنفس، إذ هو الذي له "المثل الأعلى في السموات والأرض" وهذه الآية مقترنة بذكر الخلق وبذكر الأسماء الحسنى، إذ أولها "وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو

أهون عليه" وآخرها "وهو العزيز الحكيم" وذكر المثل الأعلى في وسطها. فالأسماء الحسنى هي المثل الأعلى الذي يجذب صورة الخلق ويطوره "ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى". فهنا ثلاثة أمور: الخلق والمثل الأعلى للسماوات والأرض والأسماء الحسنى. فالخلق يتم بتحريك الأشياء إلى المثل الأعلى لها والذي هو الأسماء الحسنى التي لا نهاية لكمالاتها.

لما ذكر الرد إلى أرذل العمر بيّن الحقيقة المقصودة من العمر، وذلك في قوله {ومنكم مَن يُردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً} فأرذل العمر عدم العلم، وأشدّ وأحسن وخير العمر هو وجود العلم. بالتالي مقياس النفس بالعلم، عدماً ووجوداً. المقصود من التطور هو العلم. فحين تبلغ النفس قدراً لا تنتفع به بالازدياد من العلم في الدنيا، إما لأنها عرفت كل شيء يُعرَف بواسطة الصور الطبيعية، وإما لأنها جحدت ورفضت وأصرّت على عدم الاستفادة العلمية كما قال لأهل النار "أولم نعمّركم ما يتذكّر فيه مَن تذكّر وجاءكم النذير"، فقوله "يتذكّر فيه مَن تذكّر" بدون نذير، فلما لم يتذكّروا بعقولكم وفطرتهم، بعث "النذير"، فلمّا لم ينتفعوا به أيضاً ولم يتحرّكوا للعلم الإلهي والأخروي والنبوي الروحي الأعلى، لم يعد من وجودهم في الأرض فائدة فحصل لهم الموت. ومن هنا الرد إلى أرذل العمر لا يتعلّق بالمؤمن بل بالكافر فقط، ولذلك قال في سورة التين "ثم رددناه أسفل سافلين. إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات" فالمؤمن لا يُردّ إلى أرذل العمر ولو صار ما صار لشكل جسمه فهذا لا عبرة به في حقيقة الأمر، لأن الجسم قد يكون مريضاً مشلولا عاجزاً مع بقاء العقل في حال القوة والاستفادة العلمية من الوجود والوعي ولو كان عمره صغيراً أو كان في سنّ الرجولة. مدار الحكم على قيمة النفس ومستوى تطورها هو العلم. الأعقل يعلم، والأرذل لا يعلم. الأعقل يتعلّم باستمرار، الأرذل يرفض العلم كالكفار.

ما المدى المعقول لتعلّم النفس؟ الجواب: لا مدى. "وقل رب زدني علماً" بلا حدّ ولا غاية. وقابلية النفس عقلاً للتعلّم إلى ما لا نهاية، حجّة على البعث والآخرة الأبدية. وآية ذلك تطور الجسم والنبات كما في الآية. فالنفس مثل الجسم من حيث قابليتها للتطور، ومثل النبات في قابليته للنمو. لكن لما رأينا الجسم ينتكس، والنبات يتحطم، عرفنا أن النفس غير الجسم وغير الطبيعة، بل النفس شيء من وراء وفوق الطبيعة، وهي تتحرّك بالتعلّم وتترقّى به حتى تبلغ مداها بواسطة الجسم في الطبيعة ثم تتخلّى عنه لتُكمل أطوارها الأبدية في الدار الآخرة التي هي "الحيوان لو كانوا يعلمون".

الذي يحكم بخلود النفس ووجود البعث إنما يحكم باستمرارية ما يراه في الجسم والطبيعة مع إثبات الفارق بينهما فقط من حيث حدّ الجسم وفناء الطبيعة. فلولا هذا الفرق لكان حكم الجسم مساو لحكم النفس، وحكم الدنيا مساو لحكم الآخرة. محدودية الجسم والطبيعة مع

إطلاق النفس والآخرة وكون الآخرة "أشدّ وأبقى" و "خير وأبقى" من الدنيا هو الفرق الوحيد من حيث الاحتجاج. وما سوى ذلك، مثل التطور من الأبسط إلى الأعقد، ومن القليل إلى الكثير، ومن الأظلم إلى الأنور، ومن الأجهل إلى الأعقل، هذا المبدأ هو الحاكم على النفس وهو حجّة القول بالبعث.

{يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة}. الدليل على أن الناس كائنات عقلية غير حسّية حصراً هو قابليتها للريب، {يا أيها الناس إن كنتم في ريب} الحِسّ لا ريب فيه لأنك إما تحسّ الشيء وإما لا تحسّه، فلا ثالث لهما. إن كنت تحسّه فهو حقيقة بالنسبة لك، وإن كنت لا تحسّه فهو باطل بالنسبة لك. لا يوجد خطأ في الحسّ من حيث هو حس. أما القول بأن رؤية السراب ومرارة طعم الماء من أدلة خطأ الحس فغير صحيح، فالعين رأت ما رأت ومن حيث الحسّ هو كذلك لكن الحكم بأن المرئي "سراب" وليس " ماء" حكم عقلي على الشيء المرئي، والعقل يُخطي ويصيب ويوقن ويرتاب، أما الحس فقد رأى ما رأى وما رآه لا ريب فيه من حيث صورته. كذلك الماء له طعم بحسب الحاسة التي تتذوقه، فالحكم على الماء بطعم واحد حكم عقلي وهو حكم خاطئ بنفس حجّة مرارة طعم الماء لبعض وعدم مرارته للبعض الآخر. وهكذا في بقية الأمور. الحِسّ كله يقين وصواب، الحِسّ معصوم من الخطأ من حيث ذاته. أما العقل فقد يرتاب {إن كنتم في ريب من البعث}، فقوله {إن كنتم} يشير إلى الإمكان والاحتمال، فالعقل يمكن أن يرتاب ويتردد ويمكن أن يوقن ويثبت. الناس اسمهم الناس من حيث عقولهم، {يا أيها الناس إن كنتم في ريب} وأما من حيث أجسامهم وحواسهم فقد يسمّون بالدواب ويشتركون مع بقية الدواب في الاسم "لو يؤاخذ الله الناس بما ظلموا ما ترك عليها من دابة"، وقال "أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام". فالناس في خطاب الشارع هم أصحاب العقول والإرادة الحرّة المُكلَّفة، ولهم أجسام كبقية دواب الأرض، لكن الحكم عليهم دائماً يُنظَر إليه من حيث عقولهم وليس حواسّهم فقط، "ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويُلههم الأمل فسوف يعلمون" الالتهاء بالأمل عمل عقلي. بناء على ذلك، العقل جوهر الإنسانية. وقابليتهم للريب في البعث هو بحد ذاته الدليل على البعث، لأن البعث يتعلق بقابلية النفوس العاقلة لتحصيل العلم إلى ما لا نهاية، والله لم يخلق قابلية إلا مع تفعيلها. فنحن نرى النطفة قابلة للتطور كعلقة ومضغة حتى تبلغ الأشد، وفي أكثر الأحوال هذا ما يحصل للإنسان. كذلك نرى البذرة قابلة للتطور إلى شجرة، وهذا ما يحصل في أكثر الأحوال للنبات. أما وجود الاستثناءات فهو شاهد على القاعدة العامّة وشاهد على عدم الضرورة الحاكمة على الخالق في فعله فهو يفعل ما يشاء. فالقاعدة تدل على الحقيقة والسنّة، والاستثناء يدل على القاعدة والمشيئة الإلهية الحُرّة المطلقة. قابلية النفس للازدياد من العلم مع

وجود الموت يدل على البعث، لأن الموت يقطع القابلية عن التفعيل، والقطع مستحيل من حيث سنّة وحكمة الخالق. لذلك كان الكفر بالبعث كفر بالخالق، ولا يؤمن بالله مَن لا يؤمن بالآخرة، واقترن ذكر الإيمان بالله والآخرة معاً في آيات كثيرة، بل قدّم ذكر الإيمان بالآخرة على الإيمان بالملائكة والكتب والرسل في بعض الآيات لإظهار علو شأن الآخرة حتى على الملائكة والكتب والرسل. بدون الآخرة، يفسد الإيمان بالله ويبطل الإيمان بالملائكة والكتب والرسل. إذ بدون الآخرة لا نفس، وبدون النفس المفارقة للحس لا وجه للإيمان بالدين، إذ الكائنات الطبيعية تعيش وتموت، تمرض وتصح، ترتاح وتتعب، بغض النظر عن أي اعتبار آخر، بل "أشدّ الناس بلاء الأنبياء".

العقل يدل على النفس المفارقة للحس، والنظر في النفس يكشف قابلية التعلم اللانهائية، والنظر في الجسم والطبيعة يكشف تحقيق الله وتفعيله للقابليات بشكل عام، وحقيقة الموت تقطع التعلّم عن النفس، فالجمع بين الحقائق السابقة الذكر يدل على البعث. {يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم} مَن عرف الخالق ونظر في خلقه عرف حقيقة بعث نفسه.

...

{وترى الأرض هامدة} القلب المؤمن بالله والراجي رحمة تعليمه.

{فإذا أنزلنا عليها الماء} الماء سور القرءان مثل سورة الحج.

{اهتزّت} بالفرح.

{وربت} بالامتلاء بالكلمات الإلهية.

{وأنبتت من كل زوج بهيج} أنبتت الحكم والعلم.

...

في القرءان: الجسم سماوي، والبَدَن أرضي، والجسد ما بينهما.

{زاده بسطة في العلم والجسم} فقرن الجسم بالعلم وهو شأن سماوي.

{اليوم نُنجّيك ببَدَنك} {البُدن جعلناها لكم} ونجّى فرعون بأسفل ما فيه وهو بدنه الأرضي، وقرن الله البَدَن بالبُدن وهي الدواب الأرضية التي تُذبَح ولها لحم ودم "لن ينال الله لحومها ولا دماؤها"، فالبَدَن من لحم ودم، لكن الجسم من المادّة السماوية ومن شيء أسمى كالدخان "ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسواهن سبع سماوات"

{وما جعلناهم جَسَداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين} فالجسم خالِد، والبَدَن يأكل الطعام، لكن الجسم له خاصّية عدم أكل الطعام وعدم الخلود، فهو أثر من اجتماع الجسم والبَدن. "ألقينا على كرسيه جسداً" "عِجلاً جسداً له خوار" ثم قال في العجل "ألم يروا أنه لا

يُكلّمهم ولا يهديهم سبيلاً" فالجسد يُلقى أي ينفعل ولا يفعل بذاته لذلك قال "ألقينا على كرسيه جسداً" فهو مفعول لإلقاء غيره وفعل غيره، وكذلك الجسد له صوت بلا عقل ولا قدرة نطق مستقلة من نفسه "لا يكلمهم ولا يهديهم" فلا عقل ولا إرادة مستقلة له إذ الكلام من العقل والهداية من الإرادة.

بالجسم يتصل بالسماء، بالبَدن بالأرض، بالجسد بما بين السماء والأرض.

...

قال: ماذا تريد؟

قلت وأقول: الحرية ثم الطريقة ثم الدولة.

الحرية العمود الوسطي، الطريقة اليد اليمنى، الدولة اليد اليسرى.

الدولة تخدم الطريقة والحرية، والطريقة تخدم الحرية، والحرية تعبد الله وحده. فالمقصد من الشيء التالي التعبير عن الشيء السابق له وتفعيله في مستوى أوسع وخدمته بحمايته من العدوان عليه. الدولة لقضاء أمور البدن وحماية حرية الأفراد والمحافظة على حرية أهل الطريقة في سعيهم إلى ربهم. كذلك الطريقة تفعيل وتعبير عن الحرية الفردية المستنيرة، وصاحب الحرية إن لم يكن صاحب طريقة فهو ناقص.

الحرية أساسها الحرية الكلامية والدينية، ثم التحرر من الحوائج المعيشية بالاستقرار المعيشي بحسب شؤون المعيشة كالسكنى والألبسة والسيارة والتغذية والرياضة والمجامعة والنظافة والرياضة، ثم الاستقرار القانوني في مجتمع سياسي منتظم. فإذا تحررت نفسياً ومعيشياً وقانونياً، ينفتح لك بإذن الله باب الطريقة.

الطريقة هي ما يعطيه الله الولي من أوليائه ليعمل به في نفسه ويوصل به غيره إليه سبحانه. وهي إذن خاص وفتح للولي وهو شأن إلهي بحت، وأذكار مخصوصة، وآداب دينية ذات مجاهدة ومراعاة للأمور النفسية والروحية والعقلية التقديسية والتي تجعل الحياة كلها مجلى إلهي والعالَم كله حضرة ربانية يُراعى فيها وجود وحضور الله تعالى مع الأنفاس. والدخول في الطريقة يكون بالبيعة الخاصة والانتظام في جماعة الولي، فتتبعه في كلامه وتطيعه في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وتقييد المباح والاختيارات الشرعية ولو كانت أصعب وتراه وارث النبي بالنسبة لك ومرآة نور النبوة في حياتك. فإذا أُقيمت الطريقة وحصلت الجماعة، ينفتح لك بأمر الله باب الدولة.

الدولة هي نظام سياسي اجتماعي يشمل خاصّة أهل الطريقة مع عامّة أهل الإنسانية من المسلمين وغير المسلمين، ومقصده حفظ الحرية وحق إنشاء الطريقة والدخول والخروج منها بالنسبة لعامّة الناس، مع حفظ حقوقهم القائمة على مبدأ الاختيار والعدل، وإقامة الحكم

الاختياري للعامّة فتكون الدولة صورة اختيار الأكثرية في الأمور الدنيوية. لكن دولة أهل الحرية والطريقة هي دولة يخرج الدين فيها عن نطاق الحكم ويكون الحكم اختيارياً. هذان الشرطان معاً حدّ دولة أهل الحرية والطريقة. فقولنا "يخرج الدين فيها عن نطاق الحكم" أي الدولة وأصحابها لا حكم لهم على شيء من الأمور الدينية أصلاً، فلا يقررون عقيدة يجبرون الناس عليها ولا يفرضون شريعة يجبرون الناس عليها، أي لا مذهب عقائدي ولا فقهي للدولة تجبر الناس عليه. وأما بالنسبة للأحكام التي تسري في الدولة وتنفّذها فهي الأحكام التي يختارها العامّة دورياً ويقتنعون بها إرادياً، مع حفظ حرية كل فرد في السعي لتغيير رأي العامّة في المسائل العملية الحكومية الاجتماعية السياسية.

هذه خلاصة ديني ورسالتي ودعوتي. وهي حياتي.

...

{وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته}

معنى الأمنية هي: أمنية الرسول والنبي بأن يتزكّى قومه ويأتمروا بأمره وينتهوا عن نهيه وأن يصدّقوه حتى لا يهلكهم الله كما أهلك الذين من قبلهم.

يشهد بهذا سياق الآية في السورة، وتحديداً كون مرآة هذه الآية ومقطعها في المصحف هي قوله تعالى {وءاتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور. وإن يكذّبوك فقد كذّبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود. وقوم إبراهيم وقوم لوط. وأصحاب مدين وكُذّب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير. فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة}.

على الرسول البلاغ وليس التمنّي. لكنه يتمنّى ذلك من فرط رحمته وشفقته على قومه. " فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا".

كل خروج عن حدود أمر الله، ولو بدافع الرحمة، يُدخل الشيطان. {إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته}. لكن لأن الدافع صحيح فجاءت عناية الله بالخارج {فينسخ الله ما يُلقي الشيطان}، أما إذا كان الدافع خاطئ فيهلك صاحبه كما في "فانسخ عنها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين". ففرق بين خارج عن حدّ أمر الله لأنه من رحمة الله ويريد تحقيق أمر الله، وبين خارج عن حدّ أمر الله لأنه كفر بالله ويريد تحقيق هواه. مَن لا يعرف الفروق فلا دين له. وكم من ضلال أصله عدم التفريق وعدم التدقيق.

...

قتال أهل الحق لأهل الظلم لا يتعارض مع الإيمان بعذاب الله النازل بأهل الظلم.

يشهد لهذا قوله في الحجّ {أُذن للذين يُقاتلون بأنهم ظلموا} ومرآتها {ويستعجلونك بالعذاب ولن يُخلف الله وعده}، فقد أمره بالقتال مع وجود الوعد بالعذاب، فلا تعارض. نحن نقوم بأمره وهو سبحانه يقوم بوعده.

كذلك يشهد له قول ذي القرنين {وأما مَن ظلم فسوف نعذّبه ثم يُردّ إلى ربّه فيُعذّبه عذاباً نُكراً} فتعذيبه هو لا يعني عدم إيمانه بتعذيب الله للظالم. في الدنيا حكم من الإنسان على الإنسان، وفي الآخرة والأولى حكم من الله على عباده.

...

الآية المُحكَمة:

قد تكون في مقابل المفصّلة، كما في قوله {كتاب أُحكمت آياته ثم فُصِّلَت}،

وقد يكون في مقابل المنسوخة، كما في قوله {فينسخ الله ما يُلقي الشيطان ثم يُحكم الله آياته}،

وقد يكون في مقابل المتشابهة، كما في قوله {أنزل عليك الكتاب منه آيات مُحكمات وأُخَر متشابهات}.

إذن إحكام الآية له ثلاث درجات متميزات. وتمام الإحكام أن تكون الآية غير مُفصّلة وغير منسوخة وغير متشابهة. الآية في علوها لها وحدة وثبات وتفرّد، فإذا نزلت تعرّضت لكثرة التفصيل والنسخ والتشابه.

...

{فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة} الدولة السعودية الوهابية. ظالمة في الدنيا وظالمة في الدين.

{فهي خاوية على عروشها} تُنسَف عاصمتها وتبطل إماراتها كلّها من جزيرة العرب.

{وبئر معطّلة} آبار بترولهم تتعطّل عن إمدادهم بالمال.

{وقصر مشيد} قصورهم تفرغ لهروب أهلها أو لتعرّضهم للقصاص أو لصيرورتهم مثل عامّة الناس. ثلاثة أصناف، المرعوب سيهرب، والقاتل سيُقتَل، والغافل سيُترَك.

"ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم".

أما الآن فهم تحت هذه الآية "وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير" فهم تحت "أمليت لها" ويحسبون أنهم سيخلدون على هذا الحال.

قالت واحدة: ليش كذا تقول عن السعودية ! مره احب وانتفع من محتواك بس حزنت بشدة والله العظيم،

قلت: وتحزني ليش؟ بل افرحي وشاركي في الدعاء. خلّي المنتفع بظلم الدولة السعودية والشيوخ العبيد لهذه الدولة هم الي يحزنوا. أما بقية الناس فكلنا تحت قهر وجور وظلام هذه الدولة المجرمة.

قالت: اشارك في الدعاء وافرح؟ كأنك ترميني برصاص والله .. انا ما اقدر اقبل هالكلام ولا ارضاه ابدا، ومو تحت اي شيء من الي تقوله ترا ، ولكن الله يسامحك..

قلت: وايش وجه اعتراضك على هذا الكلام؟

وليش متأثرة جداً حتى خليتيه رمي بالرصاص؟

دولة قائمة على الغصب والجبر والقهر،

وعقيدتها قائمة على تكفير المسلمين واستحقار عباد الله واستباحة نفوسهم وأموالهم،

وثقافة معدومة، وروح ميتة، وإسراف في الكلام الفارغ مع أن أكثرية الناس يعانون من صعوبات العيش،

فعلى أي أساس عندك ذرة ولاء أو احترام للمنافقين بل الملحدين هؤلاء؟

فقالت لها أخرى تخاطبها: سبحان الله نفس شعوري صدمني بصراخة خسارة محتواه حتى لو عندك اعتراض عليها الاسلوب له دور عموما خذيها قاعدة في الحياة خذي اللي ينفعك واعرضي على مايعجبك وسلمي قلبك لله وخلي اللي يبغى يشعل الاخقاد والبلبلة لحاله استفيدي وامشي

فقلت لها: سبحان الله، الحد الفاصل عندك هو موقف الإنسان من السعودية، وإلا ف"خسارة محتواه" ! يعني كل شيء ينحرق من أجل شياطين نجد ؟! سبحان الله، الله جعل الحق معيار الفصل والحجّة معيار الكلام، وبعض الناس يجعلون أظلم أهل الأرض معيار الحق والموقف منهم هو الحجّة في الفوز والخسارة. هذا أمر. والأمر الآخر، عن أية أسلوب تشيرين؟ هل رأيتي في حياتك أسلوب شيوخ وأمراء الدولة التي تدافعين عنها حين يتحدّثون عن خصومهم من المسلمين وغيرهم، هل يوجد أحقر وأسفل منهم في الأرض كلها؟ أمر ثالث، أنت نفسك شعارك هو قبول كل إنسان ما التزم حدوده، نعم، فأين حدود الأمّة التي لم تحترمها دولة العصابة السعودية الوهابية على مرّ أكثر من مائتين سنة، اقرأي كتبهم أنفسها وتاريخهم بل وانظري حاضرهم حتى تعرفي ما هو "أسلوبهم" وما مدى احترامهم للحدود، ويكفي كيفية احترامهم لحدود إخواننا من المسلمين والعرب في اليمن مثلاً، حتى تحكمي ولا تحتاجي إلى كثير بحث. أما أن تنسبي لي وعلى صفحتي أني أريد أن أشعل الأحقاد والبلبلة، فلاحظي أسلوبك وتكلّمك على نيّتي بغير علم واتقي الله الذي دعوتي إلى تسليم القلب له، لم تشقّي قلبي حتى تعرفي نيّتي فاتقي الله واستغفري حتى لا يُظلم قلبك.

قالت: لاتعليق للاسف مو انا الشخص المناسب للدخول في الجدل العقيم انا متابعة صفحتك لاستفيد في جوانب معينة فقط وربي سخرك ومو دايما ربي اللي يسخرهم يكونو طيبيين فاكرر انا حاخذ اللي ابغاه منك فقط مو معناها ابدا انه راضية عن كلامك واسلوبك عشان تقدر توصل رسالتك حاول تشيل الحقد والغل (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) انتهى.

قلت:

لا ينبغي لأحد الدخول في الجدل "العقيم". ولا ينبغي أيضاً تحريف القرءان.

الآية التي ذكرتيها فيها جوابك "جادلهم بالتي هي أحسن". والأحسن يتضمن تسمية الأشياء بأسمائها وأحياناً الغلظة مثل "يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم". ثم رجعتي إلى خطأ الادعاء بمعرفة مافي قلبي "شيل الحقد والغل"، مافي قلبي حقد ولا غل على أحد من هؤلاء المجرمين، لكني إما أسميهم بأسمائهم المناسبة لعقولهم وأعمالهم، وإما أدعو عليهم لأن "الدعاء سلاح المؤمن" ونحن مأمورون في الكتاب بقتال أمثال هؤلاء المغتصبين للأمة والدجالين في المِلّة. رسالتي واصلة لمن يستحقها ممن أنعم الله عليه، وأنت نفسك تأكلين من هذه الجنة التي زرعها الرحمن بحمد الله. ولاحظي كلامك، وصفتيني بضد الطيبة، وبالحقد والغل، وإثارة البلبلة وما أشبه، فكيف غاب عنك كل هذا الرمي بالبهتان والغلظة في الكلام الباطل وأنت المفروض تنصحيني بترك الغلظة في الكلام؟ انتبهي لنفسك وراجعي حكمك على الناس بالحكم به على نفسك أولاً. أخيراً، إذا كان عندك نفرة من القول القاسي فأين نفرتك من أصحاب الفرعنة السعودية والوهابية وهم من أقسى الناس ليس فقط في القول بل في ما هو أشد وهو الفعل، فأين نفرتك منهم؟ أم أنك من المطففين الذين يكيلون بمكيالين؟ إذا كنت ممن يقرأ كلامي ويرى أن ربنا سخرني، فاستفيدي هذه النصيحة مني تنفعك إن شاء الله ولا تكابري ولا تعاندي خير لك.

قالت: ليش زعلان ! انا سويت نفس الفعل اللي سويته مع بلدي حكت عليها واتقولت وهذا رايك واذا فيه بهتان انت اول من بدا فيه وبعدين لاتزعل من الوصف انا سميتك التسمية المناسبة انا ماني عالمة زيك او كما تظهر لاو اللي في قلبه الله وكتاب الله عمره مايكون قلبه حقود ع احد قلبه سليم ولكن الله يغفرلي ويغفرلك وينفعك بكتابه ويطهر قلبك وروحك وانا كمان وبدال ماتدعي ع الناس وتستخدم سلاحك في وجههم ادعيلهم بالهدايا اذا فعلا تبغى الخير يعم واتشرفنا ياحضرة الاستاذ

قلت: إذن لما موسى دعا على آل فرعون بالهلاك كان قلبه مليء بالحقد؟ ولما النبي دعا على مجرمي نجد الذين قتلوا أصحابه كان قلبه مليء بالغل؟

قلت لك لا تكابري وتعاندي وبتتكلمي بعاطفة عمياء.
فرق بين كلامي وكلامك. كلامك دفاع أعمى بدون أي شرح، كلامي مفصل ومشروح. إذا عندك رد على أسباب وصفي فتفضلي كلي آذان صاغية. لكن مجرد عناد ما ينفع.
وأنا ما زعلت على نفسي، فأنا متعود أسمع من عبيد آل سعود وعببد الحكومات الطاغية عموماً الكثير من الأذى. لكن زعلت عليكِ متابعة لي ومؤمنة أنه ربي سخرني ومع ذلك لا زلتِ بتعتقدي بهذه الأمور. زعلت قلت ممكن مقَصّر في البيان، فشكله لازم أشرح إن شاء الله أكثر. كنت مقلل جداً كلامي في السياسة فلازم أبدل طريقتي إن شاء الله.
المهم لاحظت من قبل ما أهاجر أن الخط الأحمر للمضللين عندنا هو الموقف من فرعون الزمان النجدي. هنا الطامة. الله يجيرنا.

قالت الأولى: السلام عليكم. انا ماكتبت بصفحتك لأجل احد يفتري عليك ولا يدخل بنيتك، ولكن أثر فيني بحق، كل ماتكتبه يؤثر بي في سلوكي واخلاقي وتعاملي مع الاخر ومع نفسي حتى ومع الله، لو شفت هالكلام وشفته كثير ولكن مايؤثر فيني ، لكنه منك أثر بي، وانا اهتم للي تكتبه ، محبتي تدفعني اكتب واستنكر لما يمسني من داخلي، ولا عندي اجوبه على محبتي، لانها مارح تقنعك طالما انت مقتنع بما لديك، حتى اني ما اطمح ان يصدر مني اذى لامعنوي ولا غيره وخصوصا لك، لاني اعتبرك كالمعلم الي تعلمت منه، وانا أحترمك ترا و احب السعودية ووطني مره ، وماكان قصدي يروح الموقف لهذا الحد، أعتذر
قلت: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته
بالنسبة للتأثير فيني فلا يهمك شيء، أنا متعود على سماع الأذى ممن لا يفهمني. لكن شعوري أن نيتك حسنة فالله يفتح لك ويبارك فيك.
أنا أحب الحجاز وجزيرة العرب، أما "السعودية" فهي مجرد حكومة تروح وتجي ويجي أحسن منها بألف مرة بإذن الله. لا نخلط حب الأرض وحب الناس وحب الوطن بحب حكومة خصوصاو حكومة مثل هذه تاريخها وحاضرها عموماً ظلامي وسلبي على النفوس والأموال والأديان والأعراض وكل شيء.

قالت امرأة ثالثة: الوهابي ملعون فهمتها بس ليش الدوله السعوديه ظالمه؟
قلت: وهل ساعد الوهابي الملعون السفاك من أول يوم إلى هذا اليوم إلا الدولة السعودية ! لولا السعودية لما قامت الوهابية.

ثم دولتهم أساسها الحكم الجبري، وهو ظلم خالص، أو كما قال طاغيتهم الحالي لما سألوه كيف حصلتم على الحكم فقال "بالسيف الأملح". يعني ظلم ووقاحة معاً. والواقع شاهد، كنا تحت حكمهم مثل العبيد لا صوت ولا عقل ولا تصرف حر في نفس أو دين. المال منهوب، والرعب منشور، والإرهاب أساس الحكم.

ثم انظري كمية الناس في السجون الآن، نساء ورجال، بسبب كلمة هنا ورأي هناك. مع التعذيب والتضييق وأحياناً القتل.

ثم انظري ماذا فعلوا ولا زالوا يفعلون بحجاج بيت الله وزوار الحرمين، من فرض مذهبهم الوهابي عليهم في تصرفاتهم كلما استطاعوا، واحتكارهم الحرمين والمساجد عموماً لنشر مذهبهم فقط وقمع المخالفين ولو كانوا عموم المسلمين.

ثم انظري كيف قاموا، اقرأي تواريخهم التي كتبوها بأيديهم مثل تاريخ ابن غنّام، التي سفكوا فيها دماء المسلمين في الجزيرة، وانظري مذابحهم في الطائف وغيره، وقد ذكروها بفخر على أساس أنها قتل لل"المشركين" !

ثم انظري ما يحدث الآن في اليمن، أسوأ كارثة في التاريخ المعاصر، مذابح بأعداد با يحصيها إلا الله للكبار والصغار معاً.

بل ما يحدث الآن في غزة لهم علاقة به، لأن الغزاوية اضطروا إلى ما قاموا به لمنع تطبيع السعودية مع الصهاينة والتي تعني لو حدثت الضربة القاضية للقضية الفلسطينية (هذا باعتراف الصهاينة وأتباعهم أنفسهم وليس رأيي الشخصي وإن كان هو رأيي من قبل حدوث ما حدث في غزة).

ثم انظري ما يحدث الآن، من تشويه بل مسخ نفوس وصورة المسلمين العرب بالفجور السخيف الذي يدعمونه ويسرفون فيه، بدلاً من ترك الناس في حالها تفعل وتختار وتعارض وتعظ، لكن الآن مَن أراد النهي عن المنكر ولو كان وهابياً يُسجَن ويمكن يُعذّب.
القائمة طويلة جداً. قائمة ظلمهم طويلة عريضة عميقة. من الأصول إلى الفروع إلى الثمار. شجرة ملعونة ودولة قاتمة مظلمة.

ولا تقولي "يعني مافي خير أبداً؟" طبعا فيه خير، حتى إبليس فيه خير. لكن الحكم على الغالب وبحسب الأصول التي قام عليها. كما في الفقه "ما قام على باطل فهو باطل".

...
الوهابي ملعون لأنه كلب وساحر الدولة السعودية الظالمة، لكن السلفي له فائدة للأمّة، وهي أن يُشرَح الدين من العلماء شرحاً مبسّطاً ميسّراً مُنزّلاً نهاية التنزيل حتى يدرك شيء من معانيه حتى أغبى الأغبياء، فإن السلفي هو الحد الأدنى من القابلية للفهم والإيمان، فإذا تم توصيل

المعلومة له وأمكن جعلها بنحو يستوعبها فقد جعلنا الدين متاحاً لكل الناس فليس تحت السَّلفي بليد مشهود.

...

مَن لم يكن في دينه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فدينه ليس دين الله الذي أنزله على رسوله. {الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر}، فمَن فرّق بين الصلاة والزكاة وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جحد الدين، وهو ملعون على لسان داود وعيسى والرسل "لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن مُنكَر فعلوه". حتى العاجز عن الجهاد مرفوع عنه الحرج بشرط وهو النصيحة. الإسلام دين الفرد في الجماعة، وليس دين الفرد المعتزل عن الجماعة ولا الهارب من الجماعة ولا الخائف من الجماعة. أيما جماعة تُنكر الفرد فليس جماعة المسلمين، وأيما فرد فصل نفسه عن أسباب الأمر والنهي والنصح بالحق فليس من جماعة المسلمين.

...

طلبت منّي الاستفتاح لها في موضوع وهو أنها محامية محققة في السعودية ومديرها يريدها إلصاق تهمة باطلة بعمّال أبرياء أجانب في الشركة، وطلبت منّي عمل استفتاح قرآني لها حتى تعرف كيف تتصرّف. فقلت لها ما حاصله: هذه مافيها استفتاح، الواجب أن ترفضي ذلك وليحصل ما يحصل.

فعلاً قامت بذلك وفصّلت لها ودخلت معها في أمر التحقيق الذي تقوم به، وأخبرتها بما تقوم به وقد فعلت ففرّج الله عنها الحمد لله وحده وبرأت العمّال الأجانب الأبرياء وحسّنت عمل الشركة حتى لا يقعوا في الثغرة التي سمحت بمثل ذلك الخلاف أصلاً.

...

قالت: انتهيت من قراءة كتابك عن المثلية وكلامك بكل نقطة مقنع.. بس اسفة في شي واحد لاحظته انك ما ذكرت بعض الاحاديث النبوية مثل (وذكرت أحاديث نبوية مثل قتل الفاعل والمفعول به في سبب انك ما ذكرتهم؟ ولا هم خطأ؟

قلت: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. أذكر أني تناولت الأحاديث الواردة في الموضوع، ونقدتها من جوانب مثل كون راويها عدد قليل جداً من الصحابة، أو دخول الاحتمال على مفهوم الرواية لأن "عمل قوم لوط" كلمة عامّة ويدخل فيها كل عمل قوم لوط وهو عمل كثير في القرءان فهل المقصود مَن عمل جميع الأعمال أم بعضها؟ وعلى العموم، الحكم ليس في كتاب الله، ولو كان ذلك الحكم واجباً مفروضاً لكان مثل حكم الزنا والسرقة والقتل يعني لبيّنه الله في

كتابه حيث ذكر العمل في كتابه. على العموم، ذلك الكتاب محاولة أولية لبيان جوانب المسألة، والمثلية عمل سيء لكونه يمثّل أمراً باطلاً في جانب العلم بالله من حيث التعلّق بالمثل بينما التعلق بالله هو التعلّق بالغير لأن الله يتعالى عن العبد وحدوده، فالمثلية في الجانب المادي تمثّل الشرك في الجانب الروحاني، على اعتبار أن الشرك تعلّق المخلوق بالمخلوق أي المخلوق بمثله، بينما التوحيد يتمثّل في تعلّق المخلوق بالخالق أي المخلوق بغيره المتعالي عنه. كذلك المثلية عمل سيء من حيث ضررها الصحّي على البدن للرجال كما أشرت في الكتاب، وأضرار أخرى نفسانية من حيث كون الأولى جمع الأضداد بدلاً من جذب الأشباه للنفس، بمعنى أن الذكر يتكامل بالأنثى والأنثى بالذكر، فيجد كل واحد الخصائص التي ليست فيه في زوجه، وهذا أيضاً من أمر التوحيد لأنه يكشف للفرد نقصه ومحدوديته ودخوله في حيّز ما له ضدّ وغير من جنسه، لكن المثلية تُبطل هذا الجانب من حيث المبدأ. الخلاصة الكبرى هي أن المقصود من الشريعة هو أن تكون مثالاً على الحقيقة، والمقصود الأعظم إنما هو معرفة حقيقة الله وعبادته، وكل تفاصيل الشريعة تدور في هذا الفلك. فالكتاب إذن ليس شاملاً كاملاً لكل جوانب المسألة، ستجدي تفاصيل أخرى لها في كتبي الأخرى، فكتبي يكمّل بعضها بعضاً بإذن الله.

قالت: ايوا أذكر انك تكلمت عن الاحاديث وكون عدد راويينها قليلين، صح
والأضرار النفسانية أشوفها مسألة تفاهم بين الشخصين يعني مو شرط لان شخص ذكر وشخص أنثى يعني انهم رح يكملون بعض.. لان يعني في النهاية في اغلب المجتمعات الذكر هو اللي يتحكم بالأنثى فا فعليا ما يكملون بعض الا ممكن من الجانب الجنسي.. بس عند المثليين قليل منهم يحاولون يفرضون ارائهم وشخصياتهم على الطرف الثاني ، وعندهم سهولة في فهم بعض وتفاهمهم مع بعض لانهم من نفس الجنس واكيد هالشي رح يكون مفيد نفسيًا لهم الاثنين
+ الرجال المثليين رح يكونوا صداقات مع بنات بسهولة لان ما عنده انجذاب لهم ، ف يقدروا من خلال صداقاتهم مع البنات يكتشفوا "اللي ناقصهم" ويكتشفوا خصائص بعض اللي المفروض يعرفوها اذا كان الشخص غيري/غير مثلي
+ سؤال اخير ، الحين انت تكلمت بكتاب كامل عن المثلية وذكرت اكثر من ٢٠ سبب يخليها تقريبا حلال..
سؤالي هو ، الحين بالنسبة لك او يعني من وجهة نظرك من خلال بحثك وعلمك ، ممارسة المثلية حلال ولا حرام؟ وهل في شي اسمه زواج مثليين ويعتبر مسموح وحلال ولا ممنوع؟

قلت: التحكم السلبي من الذكر على الأنثى غلط، فلا يتم تصحيحه بغلط آخر. طريقة القرءان التشاور والتراضي و "لهن مثل الذي عليهن بالمعروف"، ونعم للرجال درجة في الجملة ولكنها درجة عطاء وليس استكبار وتعالي. والرجل الحقيقي لا يحتاج إلى التجبّر على المرأة أصلاً، بل المرأة سترى قيمته ودرجته عفوياً ومن نفسها.

بالنسبة لتكوين صداقات مع الجنس الآخر، فهذا غير ضروري فقد يحدث وقد لا يحدث، والكلام ليس عن مجرد صداقة بل عن الزوجية التي هي رابطة روحية نفسية بدنية مالية سرية وعلنية. فرق كبير في نوعية العلاقة.

ممارسة المثلية عموماً عملية مُظلمة وتضيّق النفس وهي شرعاً محرمة وعاقبتها وخيمة والعياذ بالله. لا أدعو إليها ولا أنصح بها ولا أشارك في الترويج لها. والمقصود من كتابي فهم أعماق الموضوع، وليس تحليلها والعياذ بالله.

أما زواج المثليين، فإن كان المقصود بالزواج الجانب الديني فالدين لله والله عندنا لم يأذن بذلك، فلا زواج شرعي إذاً.

وإن كان المقصود بالزواج الجانب القانوني التعاقدي الاقتصادي وتحصيل منافع حكومية وما أشبه، فهذا راجع لكل دولة واختيار أكثرية الناس فيها، ولا علاقة للدين بهذا الأمر من حيث أنه نوع من التعاقد لتبادل الأموال وتحصيل تخفيضات ضرائبية وما شاكل.

الزواج الديني حكمه للشريعة، والزواج المدني حكمه للشعب. وحكم الشعب عاقبته على رؤوسهم، إن أصابوا فلهم وإن أخطأوا فعليهم.

بما أن الشريعة لا تقر إلا الزواج بشروط معينة، والمثلية ليست منه، بالتالي العقود المؤسسة على المثلية عقود فاسدة شرعاً.

قالت: شو النص اللي خلاها شرعًا محرمة؟ لانك بالكتاب رديت ع كل الاسباب المحتملة للتحريم تقريبا ف حاسة اني مشوشة حاليا. باقي الفقرتين اتفق معها كلامك صح. الشروط المعينة للزواج اللي مافيها المثلية ، من الاحاديث ولا القرآن ولا اجتهاد؟

قلت: من كتاب الله:

"الذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون."

وقال لوط لرجال قومه "أتأتون الذُكران من العالمين. وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون".

...

سألني سؤالاً طويلاً فأجبته ويكفي الجواب لمعرفة المهم من السؤال فقلت:

حسب علمي انه ما عندنا في المسلمين أحد يحتكر كتاب الله. لكنهم يقولون "تعلّم قبل أن تتكلم" وهذا حق. نعم قد تختلف شروط التعلم من طائفة لأخرى، لكن على العموم الله يفتح لمن يشاء. وطالما أن المسلم مستعد لتغيير رأيه إذا تبين له خطئه فهو إن شاء الله في سلامة من دينه. والقرءان واجب تعلمه على الكل، بل حتى غير المسلم.

المفروض أن يكون المسلم والمسلمة على الدوام في تعلّم كتاب الله، والاستفادة من جميع مناهج المسلمين في تعلّمه. فحسب ما رأيته ولا زلت أراه بفضل الله هو أن كل المسلمين لديهم شيء من الإفادة في تعلّم كتاب الله، بدرجة أو بأخرى، فأحسن المتعلّمين مَن يتعلّم جميع مناهج المسلمين، والأهمّ من هذا التوجّه إلى الله بقلبه على الدوام حتى يعطيه فهماً في القرءان.

...

سألني عن تعليق داعية على فيلم تركي عن السحر الأسود فقال: الفيلم تركي من ٢٠١٤ العالم جاي ياخد باله انه موجود دلوقتي. المهم ايه رأيك في الكلام ده؟

انا شوفته من زمان أيام ما كنت في تانية ثانوى شوفت الجزء الأول والثاني بس مكملتش التاني علشان كان بيخوف وانا خوفت ساعتها الصراحة.

فقلت له: حضور ملائكة أو جن أمر ثابت في القرءان والسنة وكلام الأولياء.

ففي القرءان "الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة"، وقال "هل أنبئكم على مَن تنزّل الشياطين. تنزل على كل أفاك أثيم".

وفي السنة "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده". وفي مواضع كثيرة ذكر الشياطين وحتى تجسدهم كما في حديث أبي هريرة وآية الكرسي.

وفي كلام الأولياء يكفي كتاب شمس المعارف المتخصص في هذا الموضوع.

والدي بالمناسبة شهد لي بذلك أيضاً حين جالس شيخاً وحضّر له الجن وسمع والدي صوتهم.

إذن من حيث المبدأ الديني لا إشكال في الكلام.

من الجانب النفساني: العقل يتشكل بحسب الأسماء التي يتلوها والكلمات التي يذكرها. فالذي يذكر اسماً خبيثاً في اعتقاده فسيتأثر بذلك بوجه ما.

من جانب آخر: قال الله في الشيطان "إنما سلطانه على الذين يتولونه" ومن التولي ذكر الاسم، كما أننا بذكر اسم الله ورسله نتولاهم".

فقال: اكمل بقية الأجزاء عادي ولا لأ؟

قلت: شكله فيلم كئيب ومزعج نفسياً. عندي الأولى تتفرج مسلسل جلال الدين الرومي الجديد الي عملوه الأتراك.

فقال: اه شوفته. دلوقتي فيه واحد اسمه البراعم الحمراء نزل منه حلقتين لحد دلوقتي ، الحلقة التالتة هتنزل يوم الاثنين...بيتكلم عن العلمانية وطائفة صوفية في تركيا اسمها الفانييون.

فقلت: ايوه هذه أنظف وأطهر وأنور.

...

قالت: في مقطع من دراسة سورة مريم تطرقت لحادثة (حرق المصحف في السويد). وقلت .. مفروض انهم يجادلون في الكتاب او يحاججون بطريقة عقلانيه مو بهالاسلوب. السؤال .. اذا كان القرآن اسرارة ومعانيه العميقه من ربط الآيات او مناظرتها او نشوف هالكلمة ووين لقيناها بآية ثانيه ونطلع بمعاني واسرار. الاجانب اذا حاولوا يقرأون الكتاب راح يكون من كتب مترجمه .. والترجمه تكون للمعنى الظاهري للآيات. شلون ممكن يوصلون للمعاني والاسرار .. هل عن طريق شخص قدر يدرسه باللغة الاساسية ويستخرج المعاني العميقه فيه .. او هل مجرد قراءتهم له تتنزل عليهم السكينه والله يفتح لهم؟

قلت: بالطريقتين معاً. معلم يعرف العربية وقراءة الترجمة. انظري كم داخل في الإسلام في العالم بسبب ما فتحه الله له بمجرد سعيه في القرءان. وأنا شاهد على أناس تنفتح لهم معاني أكثر وأعمق من أكثر ألعرب المسلمين. "الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين" المحسن هو العاجز المجتهد بقدر وسعه، كما في آية "ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم".

...

قال: ماهي السبع المثاني؟

قلت: هي الفاتحة.

...

قال: لدي سؤال. ما رأيك بالذين يقولون بأن الإسلام مركزيته التسليم بما أنزل الله تعالى ونبيه محمد عليه الصلاة والسلام. والإنقياد به بدون طرح الاسئلة والتعارض معه؟ هل يجب علينا الإنقياد للنص بشكل مسلم بدون التعارض معه وطرح الاسئلة؟

قلت: التسليم لماذا بالضبط إذا كنا لا نفهم الموضوع الذي يشير إليه النص؟

بدون طرح الأسئلة والتعارض بنية معرفة الحق، لا يمكن لعموم الناس معرفة قوة الرسالة الإلهية. ولذلك القرءان مليء بالجدل والتعاطي الجدلي مع المخالفين.

ثم حتى لو افترضنا أن المسلم لا يحتاج إلى الجدل لنفسه لكنه سيحتاج إليه للرد على غير المسلم الذي يعترض على القضايا القرآنية.

عقيدة "التسليم" بالمعنى السلبي العدمي هي عقيدة يروجها شيوخ جهلة لتحصيل أتباع لهم أجهل منهم.

بين أيدينا كتاب، ليس عندنا رسول ولا رب العالمين في الأرض لكي يبين حقيقة معاني الكتاب للكل. فكل مَن يقول "هذا ما أنزل الله ورسوله" فإنما يتحدث عن فهمه هو، وفهمه هو لا يساوي التنزيل. ما عندنا رأي، والرأي غير الوحي. فصاحب الرأي الذي يريد إسباغ العصمة على رأيه ويمنع الناس من مناقشته يتستر وراء دعوى الوحي ليُبطل الفرق بين فهمه وبين النص.

نعم، إذا افترضنا أنك عرفت معنى النص الحقيقي، وآمنت بأنه نص من عند الله، فالموقف المعقول هو قبول المعنى والتسليم به كما أنك تُسلّم بأي حقيقة علمية وصورة واقعية. فعدم التسليم للحقيقة يعني التوغل في الباطل، ولا فضيلة في ذلك.

...

قالت: هل صحيح انه لما اسوي عطور واطلع كذا زنا. كثير يقولولي مو كويس تقعدي تفوحي بالعطور وتطلعي للشارع كذا بتكوني زانية وهتثيري شهوة الرجال الماشيين بالشارع لو شمّوهن عليك. ليا فترة don't care ابس قلت لو الكلام صح. من زمان بسمع كذا وبتسائل. يعني قلت اني مادخلنيش فيهم وفي تفكيرهم وبسمع انه لا انتي المسببة والسبب لهذا الشي. يعني بصراحة ماصدقت ولا اهتميت احس انه شي كذا صغير بس ابي ارتاح.

قلت: في هذا الموضوع حديث نبوي، ومعناه معقول من جهة. الأسلم بحسب حال الناس في مجتمعك هو عدم جذب الانتباه لنفسك. وفعلاً قد تكون الرائحة المبالغ فيها سبباً لذلك. الطيب خير لكن الأسلم عدم المبالغة فيه بنحو يجذب الانتباه. وأعلى درجة في السلامة تركه إلا بنحو النظافة العادية خصوصاً إذا كنت ستمشين وسط الرجال.

قالت: فهمت عليك. يعني اخفف صح.

قلت: الأفضل اتركيها، كوني على نظافتك مع شيء بسيط جداً غير لافت.

قالت: شكرا ليك جزاك الله ألف خير.

قلت: الله يجعل عطر روحك ينتشر في الأرض ويجذب لك زوج صالح من لدنه.

...

نقل آيات من سورة النجم "أفرأيتم اللات والعزّى" إلى "أسماء سميتموها" وقال: يبدو أن موضوع الذكورة والأنوثة وإلقاء الشيطان في الأمنية والغرانيق والأسماء، كلها مترابطة.

فقلت: الرسول ذَكَر يقذف الذِّكر في نفوس المتلقين لكلمته. الأمنية تجعل المتكلّم كأنه أنثى بمعنى أنه يأخذ من الناس بدلاً من أن يعطيهم، لأنه يتمنّى أن يقبلوا كلامه حتى يستقر نفسياً، بينما الذكر التام لا يبالي بالمتلقّين بل يعطي مَن يسعى له ويشتهي كلامه فقط. أما الأسماء فهي ما يعطيه الرسول، لأنه يُعلّم أسماء الله وأسماء حقائق الأشياء وأسماء كمالات النفس الإنسانية عبر أمثال الأنبياء والأولياء، في المقابل أصحاب اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى هؤلاء يزعون في النفوس عقائد ميتة لألفاظ لا حقيقة خارجية لها ولذلك لا تتغيّر نفوسهم بحسب الأسماء التي يتلقّونها تغيّراً نورانياً بل تبقى في ظلمة العدمية بسبب بطلان مدلولات تلك الألفاظ. فنعم كلها مترابطة.

قال: وكأنهم عبدوا الأسماء المتفرّقة لا المسمّى الواحد. استأنثوها، فجعلوا الأفكار(الانثى) التي تحكم الحقائق (الذكر)، لا الحقائق ما تحكم الأفكار. وبدى لي أنّ هذا هو فعل قوم لوط عندما استأنثوا المرسلين وجهلوا أنهم يأتون الرجال شهوة من دون النساء. "أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ ((تَجْهَلُونَ)) " فالذي يبدو لي، أنهم جهلوا ذكورة الملائكة المرسلين، لا أنهم رغبوا بهم وهم عالمين بذكورتهم. وبهذا الجهل صارت الفاحشة، تسمية الملائكة تسمية الأنثى، فيأتونها بدل أن تأتيهم. كأنّ نحكّم الفكر على الحقائق.

هذا تأويل، ما رأيك؟

قلت: سبحان الله. تأويل جميل. الله يزيدك.

قال: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾. الخلاصة الي استفدتها من تأويلي، لا يجوز أن تُخضع عالم الحقائق (الملائكي) لعالم الأفكار (الشيطاني)، المفروض العكس، وإلا ستسمي الملائكة تسمية الأنثى وتكون آتي الذكور من دون الإناث، والحق أن تأتي الأنوثة بالذكورة لا أن تأتي الذكورة بالأنوثة. "فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ". يتلقى الإنسان من الأعلى منه، ويلقي لمن أسفل عنه، لا أن يلقي على الأعلى ويتلقى من الأسفل.

قلت: الحمد لله الله يفتح لك شكراً

...

نقل لي صاحب لي وأخ في الله كلاماً عن رينيه غينون يردّ فيه فكرة الديمقراطية ثم قال كلاماً فدار بيننا الحوار الآتي:

قال: كنت أراجع بعض كتابات الإمام غينون في كتابه [أزمة العالم الحديث] انتبهت إلى أن غينون قد أبطل أصل "الإجماع" من رأسه وبشكل مختصر جداً. ولكن هذا جميعه كان في سياق إبطال «الديموقراطية» من قبل غينون وهو ما أراه يحتاج بحثاً في كلامه، خاصة قوله أن فكرة أن يكون المرء حاكماً ومحكوماً في نفس الآن "فيه حيثية قوة وفعل في نفس الوقت" وهذا محال فينتج أن حكم الشعب لنفسه محال.

جميع هذا يحتاج لنظر وأن نبحث فيه، لأنني أراه تبريراً ليس في محله، يعني لا أراه ينطبق فعلاً على الديموقراطية أصلاً وإنما هو محاولة لتبرير استبداد أنظمة حكم معينة خاصة تلك التي تدعي "الحق الإلهي" وهو ما أنا أقف ضده تماماً وأراه من أكثر أسباب الاستبداد في العالم، قصة برونو مثالاً ...

ولكن كإثبات لبطلان "الإجماع" فهو قوي جداً ، ولكن "الديموقراطية" فللأسف لم أرى نقد قوي منه لها، نعم يستعمل فكرة أن الديموقراطية تجلي لحكم "الكم" وأن الكمية هي الحاكم "الأكثرية" وأنها هي المعيار، والحقيقة المسألة ليست هكذا بتاتاً في الإسلام، فإننا لا نقوم بجعل الأكثرية دوماً هي المعيار، يكفي أننا نبطل الإجماع وفي نفس الوقت نقول بالمبايعة من خلال إرادة الناس، بخلاف الديموقراطية التي يتحدث عنها غينون "التي هي ديموقراطية شاملة" ونحن لا نتحدث عن ديموقراطية شاملة بل نتحدث عن حكم من خلال الانتخابات الحرة أي المبايعة من خلال ارادة الناس أنفسهم، فلسنا نجعل "الكم/الأكثرية" هي المعيار أصلاً .

وبالتالي ففي الإسلام، حين نشرح أننا مع نظام مبايعة حرة - وهو الذي حدث في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم - فليس لهذا أي مدخلية أصلاً بما ينقضه غينون لا من قريب ولا من بعيد .

فهناك مقامان:

ديموقراطية شمولية: وهي التي تقحم نفسها في كل صغيرة وكبيرة وتشمل كل شيء، وهي باطلة بداهةً ولا نحتاج لتبرير ذلك فأنا وأنت نفهم أسباب ذلك.

ديموقراطية مقصورة على أشياء معينة فقط: مثل تحديد الخليفة أو الإمام أو الحاكم أو الرئيس مهما كانت التسمية، وهذا مفهوم ومنطقي تماماً .

فلسنا نقول أن الأكثرية هي المعيار دائماً فنحن لا نعترف بالإجماع مثلاً ولا نعتبره حجة، ولكننا نجعل للأكثرية اعتبار في بعض الأمور كتحديد الخليفة، وبالتالي نقض غينون يقع تحت "الديموقراطية الشمولية والتي تجعل من الأكثرية معياراً دائماً" وأما ما عليه نحن فإننا لا نجعل للأكثرية اعتباراً دائماً - وهو الذي ينقضه غينون- ولكننا نجعل لها اعتباراً في أمور معينة وأساسية وتدخل في صلب أمور معيشتهم الزمانية . وهذا لا أرى نقد غينون له مدخلية فيه لا من قريب ولا من بعيد .

قلت: نعم

وزيادة: أنت تختار بحرية الطبيب، ثم الطبيب يفعل فيك فعله بحسب الحدود التي طلبتها منه. فأنت فاعل ومنفعل في آن واحد. فلا محال إذن.

لا محال لأن حيثية الفعل مختلفة عن حيثية الانفعال. فهذه مغالطة.

حجة أخرى: حكم الأكثرية هو المعقول في الأمور الدنيوية، لأن الحكم يتعلق بالأبدان والأموال. وحق كل إنسان في التصرف ببدنه وماله مساوي لحق كل إنسان آخر من حيث الصفة الكيفية. بالتالي، لما تساوى الكيف وجب الحكم بحسب الكم.

والكم له حكم في الوجود والطبيعة لا يُمكن إنكاره. كل حبة ملح لها نفس كيفية كل حبة ملح أخرى، لكن من الواضح أن وضع ألف حبة ملح في الطعام سيغير من صفته وأثره بنحو لا يساوي وضع عشرة آلاف حبة ملح. فالطعام يصلح ويفسد بحسب كم الملح وليس الكيف.

قال: وزيادة: وضع ماركس وانجلز قاعدة وهي: (التحول في الكم يؤدي للتحول في الكيف)، مثاله: حينما تكون حرارة الماء مثلاً 5 فهو سائل لكن حين رفعها الى 100 درجة فيصبح بخار، فالتحول في الكم يؤدي للتحول في الكيف، طبعا ممكن لشخص أن يقول: هذه من مشاكل هيمنة الكم في العالم الحديث صار الكم هو الأساس والكيف فرع عنه. لكن هذا لا يسمن ولا يغني من جوع، فهل ننفي الكم تماماً ؟ هذا إنكار لأهميته في الواقع المشهود .

+ نعم غينون توهم أن الشعب حين يحكم نفسه فهو حاكم ومحكوم من نفس الوجه، والحق أنه حاكم من وجه ومحكوم من وجه آخر، فلا تناقض لاختلاف الوجهين أو الحيثيتين .

+ قدَّم غينون حجة أخرى ضد الديموقراطية وهي أن أصحابها يحاولون إقناع الشعب أن لديهم حرية في الانتخاب خاصة فيما يسمى "الاقتراع العام" مع العلم أنه يمكن توجيه

الجماهير من خلال الدعايات والبروباغندا الخ... لتغيير تفكيرهم ورغباتهم وجعلهم يقومون بالتصويت لشخص معين ومحدد دون آخر، وبالتالي فإن الديموقراطية لا يمكن أن تتحقق بشكل نقي و تام .

أقول: أرى هذا مثل شخص يضع رداً استسلامياً أمام الواقع، لأنه من خلال حجة كهذه يمكنك إبطال أي شيء حرفياً: لنتوقف عن كل شيء طالما أنه ربما يؤول إلى نتائج مغايرة أو لن يكون متحققاً بشكل نقي وتام. وهذا غير معقول طالما أننا نتحدث عن الدنيا والأمور الدنيوية، لأنه لا شيء كامل فيها بحكم طبيعتها ولكن هي ظل عن الكمال.

رد آخر: وبالأساس البروباغندا دوماً تأتي من الأقلية الحاكمة التي تحاول التحكم بالأكثرية، ولكن في الديموقراطية لن توجد تلك الفئة الخبيثة، نعم ربما تكون هناك محاولات من بعض الأطراف ولكن لا شك هي أقل وأخف في ظل الديموقراطية.

أيضاً شيء أخير أخي سلطان، هاك فكرة محورية أو مقدمة أساسية يسير عليها معظم من يبررون لهذه الأفكار، وهي أن الجماهير كائنات "غير عاقلة" وتحتاج لأحد أن يحكمها، وبالتالي أيضاً يمكن التلاعب فيها من خلال البروباغندا، وأيضاً لا يجب أن تنتخب حاكمها فهي لا تفكر أصلاً فهي لا تملك الكفاءة لكي تختار رئيسها، وبالتالي نظام الانتخابات باطل.

نقض هذه المقدمة حرفياً سهل جداً، حين يتم نقضها يصبح من السهل أيضاً شرح ما تبقى، ولكن طالما أنهم يسيرون عليها فلن يخرجوا أبداً من السجن الذي أقنعوا أنفسهم أنه ضروري لحياتهم ولن يفهموا مهما شرحتَ أو شرحتُ، وسيعتبرون ما نقوله نوعاً من "الطوباوية" .

بالمختصر هم ينفون التساوي بالكيف ويعتبرون الناس ليس لهم الكفاءة لكي ينتخبوا .

غوستاف لوبون في كتابه "سيكولوجية الجماهير" يسير على هذه المقدمة، أن الجماهير كائنات ليست عاقلة ولا تتساوى بالكيف، كان لدي صديق شيوعي أناركي شرح نقضه لهذه المقدمة التي سار عليها غوستاف لوبون لكن للأسف حذف حسابه، لو وجدتها سأرسلها لك إن شاء الله.

قلت: بالمناسبة، أشار الشيخ ابن عربي في الفصوص إلى هذه الحقيقة، وهي أن العامّة تحكم الملك الذي يسعى في مصالحها، كما أنها محكومة من الملك. بمعنى أن الراعي يسعى للرعية كما أن الرعية تسعى للراعي، فأثبت جدلية الحاكم والمحكوم في الشخص الواحد.

"ما لا يُدرَك كُلّه لا يُترَك كلّه"، قاعدة فقهية شهيرة. كذلك، الدين النقي التام لا يمكن إدراكه كلّه أيضاً عموماً، ومع ذلك لا أرى أنه سيرفض الدين. وكذلك نظريته في الملك المستنير

الذي يكون جسراً بين السماء والأرض، هذه أيضاً لم ولن تتحقق بشكل عام في الغالبية العظمى من الملكيات التي رؤوسها مجرّد لصوص متغلّبة وقطاع طرق ولعلهم أسفل من العامّة الذين يحكمونها بالقهر في صلتهم بالله تعالى ومعرفة حقائق الأشياء. هذا أمر. وأمر آخر: أنا الآن بصدد قراءة كتاب "بروباغاندا" لبرنايز، وهو أحد أشهر مؤسسي هذا الفن، وحتى هذا يقول بأن الدولة لا تسير إلا بتسليم العامّة، فلذلك لابد من إقناع العامّة، سواء كان الإقناع بالقهر أو بالحيلة والمكر والخديعة. طيب تمام، هذا يكشف أن الحاكم الحقيقي هو دائماً العامّة، لذلك حتى الجبابرة يتّقون إثارة العامّة، ومهما زادوا الضغط عليهم خافوا من بلوغ درجة الانفجار، "ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون". ففي الواقع، الفرق بين الدكتاتورية والديمقراطية ليس في حكم العامّة وعدم حكم العامّة من حيث جوهر الأمر، لأن العامّة تحكم دائماً بشكل أو بآخر. لكن الفرق الحقيقي هو في نوعية حكم العامّة، هي تحكم وهي راضية أو كارهة، هل تُعبّر عن إرادتها مباشرة أو غير مباشرة، كم نسبة العامّة الذين يتم تنفيذ إرادتهم، ونحو ذلك من حيثيات.

نعم، قولهم "الجماهير غير عاقلة" دعوى شهيرة، كانوا ولا زالوا يقولونها. لكن دقق في الدعوى. أوّلاً، مَن أنت حتى تحكم على "الجماهير"؟ من الواضح أن الحاكم يعتبر نفسه خارجاً عن "الجماهير"، وهذه رعونة على أقلّ تقدير. ثانياً، إذا نظرنا إلى تاريخ البشرية المعروف، والذي كانت ولا زالت تحكمه "النخبة" المفترض أنها عاقلة، سنجد أنه تاريخ وحاضر مليء بالدم والحروب والسفه بأشكال وألوان لا يحصيها إلا الله، فهل سيكون حكم العامّة أسوأ من هذا؟ لا أظن. أكثر ما يقال هو تعارض الأدلة، أي أدلّة عقلانية العامّة أو سفاهتها تتساوى مع أدلة عقلانية النخبة المتسلطة أو سفاهتها. ثالثاً، الغالبية العظمى من أسباب جهل العامّة إنما يرجع إلى السياسات التي تفرضها عليهم النخبة، سياسات التخريف والتجهيل والتعتيم وإشغالهم عن التعلّم والتنوّر بطرق كثيرة جدّاً، فالنخبة حين تتذمّر من جهل العامّة تصبح كالذي يطعن إنساناً في كبده ثم يذمّه بسيلان دمه. أخيراً، توجد كتب ودراسات تثبت أن الواقع هو كون العامّة واختيارات العامّة عموماً حين يتم استشارتها فعلياً ومباشرةً تختار ما هو أسلم وأحسن مما تختاره الأقلّية أيا كانت. جرّبت البشرية لآلاف السنين حكم القلّة، فلنجرّب حكم العامّة والأكثرية فعلياً ثم نرى ماذا سيحصل إن شاء الله. "وأمرهم شورى بينهم" أمرهم كلّهم.

قال: بالضبط، يظهر فعلاً أن حكم غينون لم يكن في محله لأنه كان يملك خللاً في تصور المسألة، حتى أتذكر مرة أراد نفي مبدأ المساواة، فقال: هذا يسقط من أساسه لأنه لا يمكن لشيء أن يساوي شيئاً آخر، فإن أ≠ب بحسب مبدأ الهوية.

هذا أيضاً ليس في محله، فحين نتحدث عن المساواة بين الأفراد لا نعني أن زيد هو عمرو ١٠٠٪ ولكن نعني معاني أخرى جزئية يتساوون بها مع الحفاظ على كيان كل فرد بوجوده الخاص به، مثلاً: أن حقوق زيد متساوية مع حقوق عمرو، أو أن فرص زيد متساوية مع فرص عمرو، فلو زيد وعمرو كلاهما فرد في ولاية معينة مثلاً فكلاهما له الحق بالتعليم والصحة وأمور المعيشة عامةً، وكلاهما الحق بأن يعملان في أي وظيفة كانت مثلاً، هذه مساواة بالحقوق ومساواة بالفرص، مثالان صغيران على المساواة، وفي موضوعنا زيد له الحق بالتصويت وعمرو له الحق بالتصويت، فكلاهما متساويان في الحق بالتصويت. الآن لو أتى غينون أو شخص مقتنع بكلامه واستعمل معنا تلك الحجة أي مبدأ الهوية، سنقول أنه فعلاً لا يفهم المسألة كما ينبغي، فهو يتحدث عن مساواة تامة أي أن زيد=عمرو، والحق أننا نعني في حالات محددة مثلاً أن :

حقوق زيد= حقوق عمرو

فرص زيد= فرص عمرو

لذلك لو نراجع اعتراضات غينون على الديموقراطية والمساواة وغيرها، ستجد أن هناك خيط مغالطة يجب ملاحظته يدخل في كلامه، وهو أنه يسقط تصورات مطلقة على واقع محدود، فنحن نتحدث عن الأمور الدنيوية بمعنى أمور مقيدة محدودة، وبالتالي القوانين والقواعد التي فيها هي من نوعها أيضاً، مقيدة ومحدودة، فحين نتحدث عن حكم الأكثرية فلا نعني فرضاً مطلقاً شاملاً لكل صغيرة وكبيرة، وبالتالي نقد غينون مغالطة. وحين نتحدث عن المساواة فلا نعني فرضاً مطلقاً شاملاً لكل الحيثيات كأن يكون زيد مساوياً لعمرو من كل وجه، لا عاقل يقول بذلك أصلاً فضلاً عن شخص متصدر لتنظيم المجتمع، فكلام غينون مغالطة أيضاً .

فغينون يظن أننا نضع أحكام مطلقة في واقع محدود فيقوم باسقاطها، والحق أن هذا غير حاصل أصلاً، فهو يصيب هدفاً لا وجود له من الأصل .

تماماً، حتى تذكرت في كتاب (الأوحد وملكيته) لماكس شتيرنر أنصحك بقراءته، كان يذكر عبودية الأفراد للمال والأسعار، فذكر أن طريقة تحررهم حرفياً تتلخص كالتالي:

كيف يتحرر العمال من عبوديتهم لأصحاب المال والأسعار هؤلاء ؟ بكل بساطة: أن يتوقفوا عن الخضوع لهم.

كيف اتخلص من عبودية صاحب العمل لي؟ بكل بساطة: بأن تتوقف عن العمل لأجله.

لو افترضنا - ولو كان صعباً ولكنه ممكن - أن الأكثرية رفضت أن تخضع فإنها رغماً عن الجميع سيُخضَع لها لأنها هي بنفسها الجميع أصلاً، فكيف يتحرر الجميع من عبوديتهم؟ بأن يتوقف الجميع عن الخضوع .

ولذلك حين نستقرئ مختلف الكتّاب الذين كتبوا في هذه المسائل سنجد أن الحلول تتلخص في حل واحد وهو أن يتحد الجميع ضد الشيء الفلاني لقلب الواقع المُعاش والسعي لواقع أفضل.

حتى ماركس حين بدأ بيانه الشيوعي بقوله (يا عمّال العالم، اتحدوا !)

فإن قوله هذا ليس اعتباطياً أو شاعرياً فقط، بل هناك سبب، لماذا يدعو عمّال "العالم" أن يتحدوا ؟ ماذا سيفيد ذلك؟ وقبلها لماذا جعل ماركس هذا هو طريق التحقيق؟ هناك سبب وهو أن العالم جميعه يقوده الجميع.

فجأه تذكرت شيء يخص ذلك، مسألة السلعة والقيمة، في كتابه (رأس المال) شرح ماركس أن الذي يحدد قيمة سلعة ما هو "العمل ويتضمن: الوقت والجهد المبذول في صنع السلعة" .

فهناك قيمتان الآن: قيمة تبادلية وقيمة استعمالية، وكلامنا يدخل تحت القيمة التبادلية، أي حين تقوم بمبادلة شيء مقابل شيء، فإنه ضمنياً يجب أن تكون هناك مساواة لكي يقع التبادل، فالآن لو أتى غينون وأبطل كلام ماركس، ماركس سيخبره أنه لا يفهم المسألة كما ينبغي، لأن غينون يتوهم :

الكرسي=الباب

والحق أن ماركس لا يعني ذلك لكي أبادل الكرسي بالباب فإن:

جهد عمل عمل الكرسي=جهد عمل الباب

وبالتالي أصبحت المبادلة متحققة، فماركس لا يعني أن الكرسي هو باب ١٠٠٪ من كل وجه، بل أن الجهد والعمل المبذول في صناعة الكرسي يساوي الجهد والعمل المبذول في صناعة الباب وبالتالي وقعت المساواة وعليه وقعت المبادلة.

هذه أحد الأمثلة الأخرى على المساواة في الاقتصاد، وفي الأعلى أمثلة على المساواة في الامور الاجتماعية والسياسية

وجميعها أمثلة تشرح أن أقوالنا مقيدة محدودة أتينا بها لواقع مقيد محدود بنفسه.

وخطأ غينون بإسقاطه تصورات مطلقة على واقع مقيد، فبديهي ستكون باطلة

فغينون هنا فسيظن أن ماركس يقول أن

الكرسي=الباب وبالتالي يسقط كلام ماركس، وهذه مغالطة فماركس لا يقول أن الكرسي=الباب من كل وجه بل يقصد جزئيات محددة :

وقت صناعة الكرسي=وقت صناعة الباب

وبالتالي لا علاقة بما يحاول غينون إبطاله لا من قريب ولا من بعيد . على الصعيد الاجتماعي او الاقتصادي او غيره.

فلذلك نعم لغينون كلام في أغلبه قوي وجيد، ولكن لا يجب أن يعمينا ذلك عن رؤية الحق كما هو ورؤية الأشياء كما هي، فتقديس الأشخاص كان ولا يزال الطريق الأول لانحراف نظر البصيرة، وحتى حسب علمي هناك مقالة لـFrithjof Schuon عنوانها على مايحضرني (Brief refutation of "Guénonism" in light of real traditionalism)
لكنني لم أقرأها، لكن موجودة في أمازون ربما.

قلت: غينون رحمه الله يريد دنيا تابعة للآخرة. يعني يريد المقيد أن يتبع المطلق. ويعتبر الحكومة الدنيا التي تعكس الآخرة العليا هي الحكومة "التقليدية" أو "السنّية". ومن هنا صار بصدد أخذ الأحكام الميتافيزيقية المطلقة وتنزيلها على الحكم على الأمور الطبيعية والاجتماعية.

وأنا أقول: نعم هذا مبدأ صحيح، لكنه لم يطبقه حق التطبيق. لماذا؟

لأن الواقع هو أننا نحن من الممكنات، أعلى وصف لنا هو وصف الأعيان الثابتة في العلم الإلهي. فكلنا ممكنات، وكل ممكن يساوي كل ممكن آخر من حيث جوهر الإمكان، ومن حيث النسبة لله تعالى. فالله هو الملك الوحيد القدير على كل شيء، وقدرته على كل شيء متساوية النسبة لكل شيء.

بناء على ذلك، لابد من دولة واحدة تحكم الأرض كلها، وأن يكون جميع الأفراد من الناس سواسية بالنسبة لها.

ثم إذا نظرنا سنجد أن الله يحكم على كل ممكن بحسب ما عليه هذا الممكن من كيفية في عينه الثابتة، كما بيّن ذلك مراراً الشيخ ابن عربي في الفصوص وغيره. "ادعوني أستجب لكم" "آتاكم من كل ما سألتموه" "إنما تجزون ما كنتم تعملون". فالممكن يحكم على نفسه بالله، أو الله يحكم على العبد بحسب حال العبد. وأصل ذلك قدرة الله على كل شيء بالتساوي، فيبقى تخصيص الفعل الإلهي بحسب حال الممكن والعباد. لذلك قال تعالى في آية القدر "قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير" لاحظ الربط بين كونه "من عند أنفسكم" وبين القدرة المطلقة.

وبناء على ذلك، الديمقراطية التامة هي الحكومة الميتافيزيقية التامة من حيث المناسبة. لأنها التي تحكم على الناس بحسب حال وإرادة وسؤال ودعاء الناس. ومن هنا تعلم لماذا جعل الله من علامات الذين آمنوا "وأمرهم شورى بينهم"، وحتى بالنسبة للأمر الراجع للرسول قال له "وشاورهم في الأمر"، مع التنبيه على الفرق بين "أمرهم" و "الأمر". فأمر الأمة شورى مطلقة للأمة، وأمر الرسول شاور فيه المؤمنين. فالحاكم مرآة المحكوم.

إذن حتى لو أردنا تطبيق الميتافيزيقا على السياسة، فأمامنا واحد من اثنين:

إما أن أنصار الديمقراطية لهم نفس قوة الدليل الذي لأنصار الملكية والكهنوت،

وإما أن أنصار الديمقراطية أولى بالحق المتعالي من أنصار الملكية والكهنوت.

هذا بالنسبة لمسألة السياسة.

وأما بالنسبة لمسألة القيمة التي ذكرتها عن ماركس:

جوهر الحياة وقيمتها واحد في كل الناس. لأن كل الناس لهم "فطرت الله" ذاتها، وكل حياة مساوية للأخرى "النفس بالنفس"، وكل عضو جسماني مساوي لكل عضو جسماني آخر "العين بالعين..والجروح قصاص" والعضو آلة العمل والانتاج، وكل وقت مساوي لكل وقت من حيث أن القيمة النهائية لكل الناس هي الخلود أي لهم حكم الخلود فهم سواسية جوهرياً "وأنتم فيها خالدون" قال مثل ذلك في أصحاب الجنة والنار على السواء.

بناء على ذلك، تتساوى قيمة انتاج كل الناس جوهرياً.

ووجه آخر المساواة بين الناس:

التمييز بينهم مبني على النظر إلى اختلاف الصفات الكمالية فيهم، إما من حيث وجودها (كجاهل وعالم)، وإما من حيث درجتها (كعالِم وأعلم).

لكن بالنسبة لعين الحقيقة العليا، الناس كلهم بالذات فقراء وعدم "أنتم الفقراء إلى الله" و "الله يعلم وأنتم لا تعلمون" "القوة لله جميعاً". بالتالي، الناس سواسية لاجتماعهم على الفقر. وأما ما يفيضه الله عليهم فراجع إلى الله وليس إليهم. فلا ينبغي الاستطالة بذلك على أحد.

ثم في أمور الدنيا قد يكون أهل الدنيا أعلم بها من أهل الدين، كما في حديث "أنتم أعلم بأمور دنياكم". وذكر ذلك الشيخ في الفصوص. فليس بالضرورة أن يكون الولي عالماً بالسياسة أو أعلم من العامة، على فرض أن له الحق بناء على العلم فقط.

"تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين".

قال: السطور الأخيرة أراها الهدم القاطع لكل أفكار إلكسندر دوغين "المنظِّر الرئيسي لبوتين" وهو الذي أشعل حرب أوكرانيا، حين نقرأ كلامه فالرجل يعترف أنه قومي وهو مع نظرية

متهافتة في جوهرها وهي "تعدد الأقطاب" ظاهرها حسن ولكن في باطنها فهي تحتوي على مشاكل عديدة.

وخلاصة ما أتبناه أنا هو إلغاء جميع الحدود بين جميع الدول بلا استثناء، لنقل بشكل ما أنها عولمة نعم ولكن عولمة ليس لقهر الأفراد على العيش في عالم أحادي قطب، بل على العكس، هي إرجاع للوضع الطبيعي لنا في الأرض، بدون ود وبدون تلك القوانين والقيود التي وضعها البشر والتي زادت مشاكلنا، بدون أنظمة اقتصادية معقدة ومربكة، أن نعود لما كنا عليه منذ وجدنا على الأرض، بكل بساطة: بلا حدود وبلا أنظمة معقدة لا طائل منها وبلا دول وبلا نقود، ونكتفي بما كنا عليه من حيث طبيعتنا الجوهرية.

تماماً، فأن يتبع الفقير طبيعته الفقرية هو عين الغِنى .

قلت: الاجتماع لابد له من نظام. وإذا لم يكوّن الصالحون نظاماً، بل تشرذموا وتفرقوا، فالذي سيحصل هو تجمّع عصابات المجرمين للطغيان على الكل. "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض". فالكلام عن نوعية النظام وليس عن الحاجة لوجوده.

قال: نعم قطعاً، وبالنسبة للذي أتبناه فهو تحطيم لتلك القيود والقوانين التي كانت سبب في المشاكل وفقط والطغيان دون أي نتائج إيجابية، بل حتى لو ظهر منها نتائج إيجابية فإن النتائج السلبية تطغو عليها، المال والتسعير كمثال، وهكذا أرى الحدود بين الدول بنفس الحكم تماماً وكثير من القوانين والقيود الأخرى، يجب أن يكون هناك نظام بلا شك ولكن مشكلتنا في العالم الحالي أن البشر صاروا يضعون النظام من أجل النظام وفقط مع أن النظام مجرد وسيلة وليس غاية بحد ذاته، فلذلك نعم لابد من نظام ولكن كما تفضَّلتَ الكلام عن نوعيته، ويحضرني قوله تعالى (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ)

يمكنني ربما أن أختصر بالقول بأن ما أرمي إليه هو: تقليل التدخل الحكومي، بمعنى آخر تقليل نفوذية النظام، لأن كثير من الأشياء تسير كما ينبغي لها أن تسير من حيث طبيعتها دون تدخل بشري، ولكن وبالضرورة يجب قطعاً أن يكون هناك "حكومة" وأن يكون هناك "نظام" .

قلت: أوّلاً لابد أن نتحرر، ثم نقيم طريقنا إلى الله في جماعة من الصالحين بالشورى الإيمانية، ثم ننظر في كيفية إقامة دولة تراعي الحرية والطريقة وتحفظ للناس سلامهم للتفرغ لمعرفة

وعبادة ربهم. وأشكرك على الحوار العظيم، جعل الله حوارات المسلمين بل الناس أجمعين بهذا الجمال والنفع.

قال: وهذا ما أطمح إليه فعلاً، وأراه هو شرارة البداية، حين نقيم هذه الأسس ضمن إطارها المناسب (أي مع جماعة من الصالحين) ويكون نهجنا الشورى الإيمانية، ثم ننظر في الكيفية لتحقيق المراد، حينها تحديداً نكون قطعنا ثلاث أرباع الطريق، وبالتدريج ننتقل من التنظير للتطبيق، وبداية التطبيق بالأصل تكون من وضع اللبنات، ومن لبنات التطبيق جماعة الصالحين، وليس الأمر كأنه "تنظيم حركي" كتلك الأنظمة التي انتهت بالفشل وزيادة تدهور الوضع أكثر وزيادة الفوضى فوق الفوضى الموجود، بل هو شيء يتجاوز ذلك كله، ويجمع بين الثابت والمتحرك بانسجام متناغم يحقق المراد ويحل جميع الصراعات والمشاكل التي نواجهها، ونحن نعلم أن مشاكل أمتنا تكمن في أنهم يريدون حل مشاكلهم من خلال الأصول التي كانت سبب تلك المشاكل أصلاً، فهم يطفئون النار بالنار ويدفنون التراب بالتراب، وأما ما نعمل عليه نحن إن شاء الله فهو تغيير جذري تماماً، ولا أحبذ استعمال تلك الألفاظ ولكن أدق تعبير لذلك هو "تغيير راديكالي" وقد شرحه الإمام غينون رحمه الله سابقاً واعتبره انه هو الحل الخالص لمشاكلنا .

وفي الخلاصة أقول:

"لقد بدأت أمتنا حل مشاكلها من فوق، وبالتالي انتهت حلولها للفشل والسقوط، وأما نحن، فإننا سنبدأ حل مشاكلها من تحت، ونقتلع جذور السوء التي زرعتها الشياطين في شجرة الأمة فأنبتت منها أوراقاً مسمومة، ولا حل لتلك الأوراق سوى باقتلاع الجذور تماماً التي أفسدت الجذر الأصلي لشجرة الأمة الواحدة."

وكما قلتُ: إننا ننتقل بالتدريج من التنظير إلى التطبيق . والله الموفق

وهذا ما أعمل عليه، إن شاء الله وإياكم.

وأقول في ذلك أبياتاً صغيرة:

بداية التغيير جماعةٌ تهتدي
بأمر رسول الله الحي العربي

يشربون من كؤوسٍ ربَّانيةٍ فيَا
سِعدَها قد طابَ بها مشربي

وبالفتح الأكبرِ يا طائرُ فاصدَح
واطربي يا صبيةُ بذاكَ والعبي

وما الفلاحُ إلا بالعمل يا فتى
فشَرِّق معنا ولا تعبأ بمُغَرِّبِ

تَكُنْ في أمانٍ طالما أنكَ هنا
مع أهل النورِ في كل ملعبِ

فبادِر يا أخي بالصلاة معنا
صلاة النورِ تمحو كل الحُجُبِ

وعليك بنور الإشراق في قلبك
وامزجه مع ما تعلمته في الكتبِ

فابشر بالفجرِ يطلعُ صاحِ هنا
وانتظر الصبح القريبَ وارتقبِ

قلت: الله يفتح لك ويزيدك
ثمانية أبيات وثمانية أبواب للجنة. ختامها مسك.

قال: ويفتح عليكم ويزيدكم حبيبنا وأخانا سلطان رفع الله مقامكم ومحى كل الحجب عنكم وزادكم إشراقاً ونوراً وأدخلكم من أوسع أبوابه وطهّركم بمسك نوراني فوق نوركم.

قلت: آمين الله يسعدك ويسمع منك.
بالمناسبة: أنت أوّل إنسان يحاورني وأنقل كلامه في كتبي وأنا مبسوط بنقل كلامه على طوله. عادةً أفضّل تلخيص كلامهم أو أنقل الكلام بطوله مع نوع ثقل على نفسي لاعتبارات مختلفة، فالحمد لله الذي خلقك وسوّاك فعدلك. الله يزيدك ويرفع مقامك.

داوم الاستعاذة بالله من الشيطان فأنت مُعرّض للفتن بسبب ما أنعم الله به عليك، وداوم على أورادك والتواضع لله وعباده، فبإذن الله وبرحمته أمامك فتوحات كبيرة وجليلة في حياتك، هذا ما أرجوه لك وأسأله من الله لك.

...

قالت ما خلاصته بكلامه مع حذف بعض العبارات الحسنة غير اللائقة بمثلي:

هل يمكنكم شرح مفهوم التسبيح بالحمد؟هل التسبيح تسبيح الأفكار في مجال الإحتمالات. (عملية التفكر) او التسبيح، عملية التناغم النفسي و الروحاني بطاقات الكون عبر عملية التأمل؟ ولماذا للتسبيح أوقات مفضلة دلنا الله عليها في كتابه؟

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿40 ق﴾

وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿48 الطور﴾

قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١ آل عمران﴾

فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠ طه﴾

إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨ ص﴾

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (98)

فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠ طه﴾

وفي الوسيلة, التسبيح بالحمد، باسم ربك الأعلى و باسم ربك العظيم.

هل يمكن ايضا علاقة التسبيح بالخروج من الظلمات.

فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) ۞

قلت: التسبيح ليس فكرة ولا حركة في الكون، بل هو ما فوق الفكرة وما وراء الكون. لأن التسبيح نفي حدود الفكرة وصفة الكون عن رب العالمين. فالله أعلى من أن يكون فكرة، ويتعالى عن شبه الكون. التسبيح كلمة يتحرر فيها الروح من ضيق الأفكار وسجن الأكوان. وهذا أيضاً

جواب سؤالك الثاني عن العلاقة ما بين التسبيح والخروج من الظلمات، فإن الفكر دائماً مرتبط بالكفر بمعنى تغطية وستر شيء، لأن الفكرة تغطي عقلك عن رؤية ما ورائها، وتستر نفسك عن الاتصال بحقيقة الموجود الخارجي، فالفكرة خطرة بهذا المعنى، ولذلك لابد من الذكر قبل الفكر ثم لابد من التفكّر وليس فقط الفكر، حتى يخرج العقل من ظلمات الفكرة. كذلك روحك في بطن حوت الكون، فلولا التسبيح لبقيت في ظلمة الأكوان إلى يوم البعث حيث يتجلى "الواحد القهار" كما في قوله "لمن الملك اليوم لله الواحد القهار" وقوله "وبرزوا لله جميعاً" و "هنالك الولاية لله الحق".

أما الأوقات، فالأصل فيها "يسبّحون الليل والنهار لا يفترون" وهو تسبيح الملائكة. لكن لمّا كان للإنسان في الدنيا أشغال وحاجة إلى النوم، قسّم الله الأوقات لتتناسب مع حاجات الناس الدنيوية بنحو تتناغم فيه الحياة ما بين التسبيح والمعيشة. هذا معنى. لكن كل وقت بعد ذلك له تأويل خاص يحتاج إلى تأمل وانتظار فتح من الله.

من باب الإشارات: لاحظ أن الآية الأولى تشير إلى التسبيح بالليل، وهو وقت الغفلة والدخول في ظلمة الكون، فيأتي التسبيح للخروج منها حتى يستنير القلب.

الآية الثانية {فاصبر على ما يقولون وسبّح} فهنا أيضاً حتى لا تتأثر بما يقوله الناس من كلمات ظلمانية، فلا تتأثر بالإنسان وهو أحد أفراد الأكوان.

الآية الثالثة عن زكريا وإنجاب ولد بغير الطريق الطبيعي، أيضاً نوع من القيود الطبيعية يتم تجاوزها وخشي من تكذيب الناس له أيضاً فجعل من آياته التسبيح، لأن التسبيح كما قلنا نوع من تجاوز الكون وقيوده.

الآية الرابعة والسادسة والسابعة أيضاً مبنية على الصبر على ما يقوله الجاهلون، كالثانية. كلها تبدأ بالأمر بالصبر على ما يقولون، فهو مضطر لسماع ما يقولونه لأنه في الكون، والصبر فيه نوع تحمّل للأذى من الكون، فجاء التسبيح للتحرير.

أما الآية الخامسة، آية داود {إنا سخرنا الجبال معه يسبّحن}، فلعل أحد أسباب ذلك هو كون داود خليفة الله "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض"، والخلافة الإلهية فيها نوع من تجلّي المتعالي في الأرض، أي ظهور الإنسان بمظهر ما فوق دنيوي، فجاء بتسبيح الجبال وهي الصمّ والجمادات في الظاهر حتى يبيّن لداود وللناس بأن سرّ الحياة العالية والعاقلة يمكن أن يظهر حتى في ما يحسبون أنه خالٍ عنها تماماً. فكأنه يقول: كما أن الجبال سبّحت فكذلك داود صار خليفة. فالخلافة نظام يُجلّي التسبيح في حدود الزمان والمكان والإنسان.

قالت: هل يمكنكم توضيح مفهوم الحمد. يعني عمليا كيف يمكنني ان أسبح بحمد ربي لتجاوز قيود الكون؟

قلت: عقلياً: أن تعرفي أن كل كمال وجودي هو لله بالحقيقة وهو مُطلق لامتناهي.

عملياً: تقولي كلمة "سبحان الله" و "الحمد لله"، فالله سيتصرف في نفسك حين تفعلي ذلك. عليكِ الذِّكر وعليه تعالى التحرير والتنوير.

...

نقل لي صورة من فيلم كرتون سندباد وراكب على ظهره شخص يشبه صورة الشيطان " بافوميت"، وقال لي: تأويلك للصورة؟

قلت: الحكومة الطاغية فوق الأمة الإسلامية وهي في طريق تحقيق خلافتها الربانية.

قال: بمناسبة الخلافة، هل ترى تحقق الخليفة الإلهي الظاهر (المهدي) في المستوى المادي ؟ أم أنّه معنى فردي شخصي يتحقق للإنسان في ارتقاءه بالمقامات؟ أو الإثنين؟

قلت: الاثنان. لأن كل ما في النفس له مثال في الآفاق. كما أن لكل نفس شمسها، لكن في الأفق الدنيوي يوجد شمس بالنسبة لنا واحدة لهذه الأرض. فلا تعارض بين كثرة الشموس في النفوس، وبين وحدة الشمس في سمائنا. كذلك هنا، الخليفة هو كل مؤمن من بني ءآدم، وهو واحد في الخارج {أطيعوا الرسول}.

قال: يعني الخليفة بالخارج ظاهر الآن؟ أو له موعد في الظهور؟

قلت: ظاهر لمن أظهره الله له، وخفي عمّن أخفاه الله عنه. وهو الآن بأرض يتمثّل فيها مثال مَدين قوم شعيب، وهو كشعيب بينهم، هي أرض تعظّم المال وتعطيه حرية تامّة. والموعد موعد هلاك قومه إن لم يؤمنوا به ويتّبعوه ويطيعوه.

{ألا بُعداً لمَديَن كما بعدت ثمود} فهي أرض من جانب مالية "نفعل في أموالنا ما نشاء" ومن جانب عسكرية جماعية "هل أتاك حديث الجنود. فرعون وثمود".

{إن تُبدوا الصدقات فنِعمّا هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم} فالإخفاء خير الآن من الإبداء.

قال: بمعنى هو موجود كرجل في الأرض، لكنه خفي عن العامة؟ أو أنه ظاهر للعامة لكن لا يعرفون مقامه؟

قلت: بل ظاهر للعامّة لا يعرفون مقامه. قال الله {إني جاعل في الأرض خليفة}، فلا تكون الأرض إلا وفيها خليفة، وإلا لبطل كلام الله ولا يبطل كلامه سبحانه. بعضهم يعرف مقامه، وبعضهم لا يعرفه. {كل ما جاء أمّة رسولهم كذّبوه}.

قال: ومعرفته تكون بالطلب والكسب؟ أم بالعلم الوهبي؟

قلت: النبي علمه وهب محض، الرباني علمه وهب وكسب، الحَبر علمه كسب محض. الخليفة بعد خاتم النبيين يكون من أتباع النبي الأول عليه الصلاة والسلام، فالأصل أن يكون علمه كعلم الربانيين، فالخليفة رباني، فعلمه ما بين الوهب والكسب. لكن أعلى الربانيين أقرب الخلق إلى خاتم النبيين، فيكون أصل علمه نور يوهب له ويقذف في قلبه وبهذا النور والتوفيق الخاص يكتسب العلم أيضاً فيُعصَم من الخطأ في كسبه فحتى لو أخطأ يوفقه الله للرجوع عن خطأه ويبين الحق له فيراجعه فوراً بلا تردد ولا مكابرة لأن نيته معرفة الحق واتباعه وهو محب للحق غير كاره له وإرادته اتباع الوحي. ثم قد يرفعه الله في علمه حتى يزداد فيه علم الوهب ويقلّ علم الكسب، إلى درجة قد يبلغ فيها أن يكون كل علمه الأخروي من الوهب ويبقى كسبه مقصوراً على أمور الدنيا، والعبرة بالآخرة.

قال: بمعنى أن الخليفة هو ذاته ما يُسمّى القطب أو الغوث؟

قلت: نعم.

قال: هل هذا يعني أن مقام المهدي الظاهر غير مقام الخليفة الظاهر؟ ولا المهدي له خصوصية ختمية مضافة على خلافته وقطبيته؟

قلت: لكن قد يختلف عنه من حيث أن الخليفة قطب ظاهر وباطن، لكن القطب قد يكون خليفة في الباطن دون الظاهر، كما أن ولي الأمر من الناس قد يكون خليفة في الظاهر دون الباطن. فهنا ثلاث مقامات. مقام الجمع بين الظاهر والباطن وهو للخليفة المطلق صاحب "إني جاعل في الأرض خليفة". ومقام الظاهر دون الباطن، وهو للأمراء الذين يختارهم الناس لإدارة شؤونهم وتنفيذ أمرهم. ومقام الباطن دون الظاهر، وهو للأولياء الصالحين الذين لهم إمداد باطن العالَم بأنفاس ذكر الله وأنوار الهداية غيباً ولو لم يشعر الناس بهم.

المقصود بالمهدي هو الخليفة المطلق الجامع بين الظاهر والباطن، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم جامع بين الظاهر والباطن. مع فرق أن المهدي وارث النبي، بينما النبي مصطفى من الله لم يرث نبياً غيره ويظهر بصورته.

قال: لكن المهدي له ختمية الخلافة أليس كذلك بعكس ما قبله من الخلفاء؟

قلت: وإن كان النبي "خاتم النبيين" بمعنى أن حقائق وحكم جميع النبيين قائمة في ذاته، إلا أنها في النبي بالأصالة وفي بقية النبيين بالوراثة الغيبية من ذات النبي حين كان في مقام الغيب الأعلى "سبحان ربك رب العزة".

المهدي له ختمة من حيث جمعه لأقصى ما يمكن أن يجمعه وارث للنبي من كمالات النبي، لكن ليست ختمية بمعنى آخرية زمانية فإن العالَم لا يبقى بلا خليفة وإلا فني العالَم وبطلت الحكمة من وجوده.

قال: نعم أفهم معنى الختمية، كأن أقول ختمت القرآن تلاوة يعني أتمّيت قراءة كل ما فيه.

طيب بيني وبينك، سلطان يعرف إمام الزمان؟

قلت: نعم فتح الله عليك.

...

الهجرة في سبيل الله نوع من الموت. ولذلك جاءت الآية في الصفحة اليمنى تقول {هاجروا في سبيل الله} ومرآتها في اليسرى هي {يميتكم ثم يحييكم}.

الهجرة تشبه سحب اللون من الشَّعر قبل تلوينه. يتم سحب كل شيء من نفسك بشكل عام لتُجدد كل شيء في حياتك بناء على {سبيل الله}، فتعيد النظر في كل شيء، وتعيد تقييم كل شيء بحسب ذلك.

ومن هنا يخاف أكثر الناس من الهجرة في سبيل الله والخروج من الديار، لأنه مقرون بقتل النفس، أي هو نوع من الموت الإرادي والتمسّك بالشخصية القديمة وعاداتها ومألوفاتها.

هاجر ولو إلى أقرب مدينة بجانبك، لا تترك حياتك بدون فضيلة الهجرة فإن الناس أصحاب القيمة في دين الله ثلاثة: رسول ومهاجر وأنصاري. والرسول من المهاجرين. فبقي إذن اثنان فقط، المهاجر والأنصاري. والأنصاري إنما كانت فضيلته لأنه ناصر المهاجرين "يحبّون مَن هاجر إليهم"، فبمحبّة المهاجرين ونصرتهم وإيثارهم على النفس "ولو كان بهم خصاصة" صاروا أهلاً لاسم "الأنصار". إذن في نهاية التحليل، الفضيلة كل الفضيلة ومركز الفضيلة هو لأهل الهجرة في سبيل الله.

لا يغرّك الذين يقولون "الهجرة معنوية فقط"، كلّا بل هي معنوية الأصل مادّية الفرع. كما أن الصلاة معنوية الأصل مادّية الأصل. والقرءان معنوي الأصل ومادّي الفرع، فإن أصله روحاني وفرعه لساني عربي طبيعي.

كل آيات القتل والبعث تجد تأويلها في الهجرة، وسيريك الله آياتها في هجرتك. "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير". أول قتال قتل نفسك القديمة، وأول بعث بعث نفسك الجديدة، وطريق القتل الهجرة وطريق البعث ما ستجده فيها وبعدها.

حين تفكّر في الهجرة ستشعر بضيق وظلمة في قلبك، هذا ضيق وظلمة الموت، لأنها كما قلت نوع من الموت. فلا تقل لنفسك "بما أني شعرت بذلك فلابد أن الأمر شر وسيء فعليّ

الابتعاد منه". كلّا. "حُفّت الجنّة بالمكاره". إن لم تشعر بالمكاره فلم تقترب من الجنّة بعد. " حُفّت النار بالشهوات" إذا وجدت نفسك تتبع كل شهوة ولذّة لمجرّد شعورك بميل نفسك الأمّارة لها فأنت على حدود النار والعياذ بالله.

"الذين صبروا وعلى ربهم يتوكّلون"، نزلت في المهاجرين. صبروا على ما هم فيه الآن، وتوكّلوا في ما يأتي في المستقبل. الصبر للحاضرة والتوكّل للمستقبل. صبر لماذا؟ صبر لإقامة دين الله. توكّل لماذا؟ لإتمام العمل بدين الله وعدم التراجع عنه مهما حصل.

فماذا لو صارت الأرض كلّها دار إسلام، هل تبقى الهجرة؟ الجواب: نعم. هاجر من بلدة إلى بلدة أخرى، ولو إسلامية، وستجد ذات الفضائل المذكورة فيها. طبعاً هذا على فرض وقوع صورة المسألة السابقة. لكن الواقع "وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين" وقال "أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتنون"، فليس من سنّة الله ولا من عدله ترك الناس بغير فتنة، والدنيا قائمة على الفتنة والابتلاء، فلن تقع تلك الصورة أصلاً، أي لن تتحوّل الأرض كلها إلى دار إسلام، أقصى ما يمكن أن تبلغه الأرض هو أن يكون بعضها دار إسلام وبعضها دار سلام، أي دار سلام مع دار الإسلام وهي التي قال الله فيها "بينكم وبينهم ميثاق" يعني ميثاق سلام وإن لم يكونوا من المسلمين.

مَن هاجر في سبيل كسب المال أو تغيير الجو أو كرهاً للمألوف الصوري، فلا هجرة دينية له. إنما الكلام عن الهجرة {في سبيل الله}. وما هي الهجرة في سبيل الله؟ هي التي في قوله تعالى {إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا..وكلمة الله هي العليا}، هي ترك الدنيا من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض، عملاً وتبليغاً ودعوةً وتحقيقاً. إلى أن يأتي يوم يمكن فيه تبليغ كلمة الله في كل الأرض بسلام وأمان، فسيبقى باب الهجرة والجهاد مفتوحاً. حين يأمن المسلمون في الأرض كلها على دينهم، ويتمكّنوا من تعليم كتاب ربهم بلا إكراه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا عدوان عليهم، فباب الهجرة والجهاد مفتوح على مصراعيه.

الفلاح بالركوع والسجود وعبادة ربك بالدعاء وفعل الخيرات، لكن الجهاد درجة أرفع. ولذلك قال في الآية {يا أيها الذين ءامنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون} وبعدها قال {وجاهدوا في الله حق جهاده}، فدلّ على أن الأعمال السابقة من ركوع وسجود وعبادة وفعل مع الإيمان السابق لها كافية للفلاح بإذن الله. ومن هنا قال في آية أخرى "فضّل الله المجاهدين على القاعدين درجة وكُلّا وعد الله الحسنى". فالإيمان مع العبادة والقعود طريق الفلاح، إلا أن يستنفر الرسول المؤمنين فحينها مَن لا ينفر كما قال الله "إلا تنفروا يعذّبكم عذاباً أليماً" ويحصل الاستبدال بقوم غيرهم. الإيمان والعبادة وفعل الخير درجة، وفوقها درجة الإيمان العبادة وفعل الخير والجهاد في الله.

من شؤم ملاحدة الحداثيين من السلفية بأشكالها، نعم السلفية حداثية الروح والصورة أيضاً من وجوه كثيرة، سعيهم لتشويه اسم الهجرة والجهاد. حتى صارت هذه الكلمات مرادفة في أذهان الكثير من الناس لكلمات العدوان والظلامية والاستكبار والتفاهة والسفاهة. هؤلاء الجهلة الملاحدة لا علاقة لهم بالقرءان والإسلام. هؤلاء طلاب دنيا، مثلهم مثل فرعون وهامان، لكنهم توسّلوا بألفاظ الإسلام فقط. هؤلاء يريدون أن تكون كلمتهم هم هي العليا، لا أن تكون كلمة الله هي العليا. همّهم ظهور أشخاصهم وعصابتهم، لا ظهور أمر الله ورسوله والمؤمنين. فلا يخدعوك عن قبول كلام الله والتأمل في حقيقة كلامه وجمال إرشاده. كيف يكونون أهل فضيلة الجهاد والهجرة، وكل بلدة تحكمّوا بها لابد من الهجرة منها وجهاد أربابها ؟! دولهم أولى الدول بالهلاك، ومذاهبهم أولى المذاهب بالهجران، أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون.

...

في مجلس قرآني مع صاحبي وأخي بدر، فُتح له بعلاقة الفصول الأربعة بسورة الكهف. ودار بيننا بعد ذلك ما حاصله ما يلي إن شاء الله:

الفصول المتقابلة: أربعة الشتاء والربيع والصيف والخريف. وقصص سورة الكهف المتقابلة أربع: أصحاب الكهف وصاحب الجنّتين وموسى وذو القرنين. وبما أن الفصول الأربعة تدور في المادة الطبيعية الأصلية وهي التي تتجلى بها الفصول الأربعة فهي كالمادة الخام التي تنطبق فيها صور الفصول المتقابلة، فكذلك نجد في سورة الكهف قصّة آدم واردة في منتصف القصص لأنها القصّة الخامسة المركزية فوضعها في الوسط ليدلّ على أنها المحور، فآدم بالنسبة للناس مثل الأصل المادي بالنسبة للطبيعة، فعلى الفطرة الآدمية تظهر الصور المتقابلة البشرية، لذلك قال "يا بني آدم". فالفصول الأربعة أبناء المادّة الأصلية، والأصناف الأربعة أبناء آدم.

قصّة أصحاب الكهف تُمثّل الشتاء. كما أنه في الشتاء تُزرع البذور وتختفي في حفرة في الأرض، كذلك كان الفتية هم بذور النور التي اختفت في الكهف. {إذ أولى الفتية إلى الكهف} كما تأوي البذرة إلى الحفرة. {فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة} رحمة الماء النازل من السماء، {وهيء لنا من أمرنا رشدا} كالشجرة حين تنبت من البذرة. لذلك بعدها بنوا عليهم بنياناً، كل شجرة في الطبيعة تشبه الضريح المبني على القبر لأنها شاهدة بوجود البذرة الحية التي اختفت في تلك الأرض. {فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا} فلابد من زمان حتى تتحوّل البذرة إلى شجرة. إذن، أعداء أصحاب الكهف هم مثل أعداء البذرة الذين يفسدون في الأرض حتى يمنعوا نموّها وظهور ما فيها، وهؤلاء مَن يأوي بنفسه إليهم تصبح نفسه عقيمة

وتبقى ميتة ولا تتفعّل القوى المودعة الكامنة فيها. ربط الله بين بعث أصحاب الكهف وبين قيام الساعة {وأن الساعة لا ريب فيها}، وذلك لأن البعث والساعة لها أمثال في الطبيعة وهي أمثال إحياء الأرض الميتة وخروج الشجر كما في آيات كثيرة من القرءان. ما هو الرقيم؟ هو كتاب الله، لذلك جاء أمر {اتل ما أوحي إليك من كتاب ربك} بعد ذكر قصّة أصحاب الكهف، {أصحاب الكهف والرقيم} هم أصحاب العزلة والخلوة والقرءان، وهم جماعة {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه} فهؤلاء إذا صبرت نفسك معهم ستنمو نفسك وتنبعث، وستستقبل ماء الشتاء النازل من السماء لإحيائك، {وقل الحق من ربكم}. وعاقبة كل بذرة إما أن تحترق وتبيد وإما أن تتفعّل وتصبح شجرة، ولذلك ختم القصّة بذكر النار والجنّة للنفوس، {إنا أعتدنا للظالمين} وهم الذين ظلموا أنفسهم فلم يُظهروا ما فيها كما قال بعدها في شجر صاحب الجنّتين "ولم تظلم منه شيئاً"، وقال {أولئك لهم جنّات عدن}. الحاصل: شتاء النفس هو أن تأخذ كتاب الله وتتصل بجماعة المؤمنين وتعتزل المعتدين الجبّارين.

قصّة صاحب الجنّتين تُمثّل الربيع. لذلك جاء فيها {واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنّتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا. كلتا الجنّتين آتت أُكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجّرنا خلالهما نهرا. وكان له ثمر}، هذه صورة الربيع {ودخل جنّته وهو ظالم لنفسه قال ما أظنّ أن تبيد هذه أبداً}. وقال بعدها {واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض} وقال {المال والبنون زينة الحياة الدنيا} كما أن الربيع زينة الطبيعة وظهور الزينة الكونية. باطن القصّة يتعلّق بالنفوس التي تناول المعرفة من الله ثم تتحوّل إلى أعمال المجرمين والمبطلين، كما قال مثلاً "ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم"، فشتاء الكهف كان لتحصيل العلم، فلمّا جاء ربيع العلم اختلفوا وبغى بعضهم على بعض كما بغى صاحب الجنّتين هنا على صاحبه بقوله {أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفرا}، تأويله في مال الأقوال ونفير الأتباع، يعني قال له: أنا أكثر منك أقوالاً وكتباً وصحفاً، وأكثر أتباعاً وتلاميذَ ومريدين. فمَن قال مثل ذلك فهو بمثابة صاحب الجنّتين، جنّة علم العقيدة وجنّة علم الشريعة، أي العلم والحكم، وما يتفجّر خلالهما من أنهار علوم الأخلاق والمكاشفات.

قصّة موسى تُمثّل الصيف. لذلك في القصّة سافر إلى مصدر النور الأعلى، إلى الشمس. {هل أتّبعك على أن تُعلمنِ} لكنه لم يشهد العلم من ذات العالِم بل من ربّه {تُعلّمني مما عُلِّمتَ} فلم يسجد موسى للشمس بل لرب الشمس. وكذلك كما أن الصيف فيه الحر والتعب قال موسى {لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا}، ومن هنا نعمة الآخرة "لا يرون فيها شمساً". ولأنها قصّة لها طابع الصيف في عالَم الإنس، تجد موسى يعاني من حرارة ابتلاء ما يقوم به العالِم، فيرى خرقاً وقتلاً وسَفَهاً.

قصّة ذي القرنين تُمثّل الخريف. وكما أنه في الخريف تموت الأشجار وتسقط الأوراق، أي هو فصل فيه ظلمة وموت، كذلك ستجد أن ذي القرنين يحكم على الناس ويتعامل مع الظالمين والمفسدين في الأرض {إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض} كما أن الخريف يُفسد الأشجار والنبات.

الآن، لاحظ التقابل:

الشتاء والربيع فصلان للسكون، ففي الشتاء تسكن وتزرع وفي الربيع تسكن لتحصد، كذلك نجد أصحاب الكهف وصاحبي الجنّتين في حالة سكون، الفتية في كهفهم والصاحبان في الجنّتين. لكن في المقابل، الصيف والخريف فصلان للحركة، حرارة وجو مناسب للسفر، فتجد موسى يسافر وذو القرنين يقطع الأرض شرقاً وغرباً.

شتاء أصحاب الكهف ضدّه صيف موسى: أصحاب الكهف اجتمعوا لحفظ النور وسكنوا، وموسى سافر لتلقّي النور وتحرّك هو وفتاه. ولاحظ أيضاً هناك "فتية" وهنا "موسى لفتاه". وهناك "الكهف" وهنا "مجمع البحرين"، كما كان الكهف مجمعاً للفتية.

ربيع صاحب الجنّتين يقابله خريف ذي القرنين: صاحب الجنّتين كان مفسداً بالتكبّر والتكاثر، والذين مرّ عليهم ذو القرنين كانوا إما فيهم الظلم وإما محايدين وإما قوم من المفسدين عموماً. كلاهما مفسد في الأرض، الأول بالتكاثر والثاني بالظلم والإفساد.

أما قصّة آدم، قصّة المادية الأصلية الأولية، فتأمل. قال الله {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا}، المادة قابلة للصور المختلفة، الملائكة هم هذه الصور والأمثال النورانية، والسجود نزول إلى الشيء أي إلى الأرض، والفاعل هو الله {قلنا} كما أنه بقوله كوّن العوالم بأسمائه، كذلك هنا بقوله صوّر آدم بملائكته. {إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه} إبليس يمثّل كل ما يُلبّس المادّة حتى لا تقب الصور، كأن يأتي شخص إلى التراب ويُلبّسه بالزفت فيقتل قابلية الأرض للماء ونمو الأشجار منها. كذلك إبليس هو الذي يحفظ صورته حتى لا تنطبع في المادة، لا يريد لمثاله أن يظهر فيها. كذلك إبليس هو العدم، أي ما يضاد المادة الأولية، لأن المادة تقبل الوجود والتكوين، لكن العدم لا يقبله، فهو يمثّل المستحيلات. ويدلّك أيضاً على علاقة آدم بمادة الخلق قوله تعالى بعدها {ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم}، فأشار إلى أصل الخلق عموماً. ثم ذكر الشرك {يوم يقول نادوا شركاءي} وهم عدم، فالعدم لا يفعل في المادّة شيئاً، فلا شريك لله في خلقه لأن الوجود لله وحده. ثم ذكر القرءان {صرّفنا في هذا القرءان للناس من كل مَثل} لاحظ علاقة الأمثال بالقصّة وما سبق من ذكرنا الملائكة، وكذلك القرءان هو الروح الأولية كما أن آدم يمثّل المادة

الأولية، "أوحينا إليك روحاً من أمرنا"، فكما صرّف الله الأمثال في القرءان كذلك تتصرّف الأشكال في المادّة.

هذا تأويل للقصص، ويمكن معرفة أسرار عن الطبيعة من هذه القصص، لأن القصص تعبّر عن فصول عالَم الأنفس الإنسانية والتي هي مرآة فصول عالَم الآفاق الكونية. الأكوان مرآة الإنسان، والإنسان مرآة الأكوان. فمن الطبيعة تعرف القصّة، ومن القصّة تعرف الطبيعة. وكلاهما يدلّك على وحدة الملك الخالق جلّ وعلا. "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق".

...

من قصّة نوح. {فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا} تأسيس الحرية. {فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك} استقرار الطريقة. {وقل رب أنزلني مُنزلاً مباركاً وأنت خير المُنزلين} إقامة الدولة، ويشهد له قول يوسف بعدما صار عزيزاً "وأنا خير المُنزلين".

...

{وقل رب أنزلني مُنزلاً مباركاً وأنت خير المُنزلين} ما هو المُنزَل المبارك؟ هو جنّات من نخيل وأعناب وزيتون. فمرآة هذه الآية قوله {فأنشئنا لكم به جنّات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون. وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين.}

...

{قال الملأ من قومه الذين كفروا...إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين} المفترض أن يقولوا "نحيا ونموت" لأنهم أنكروا البعث، فلماذا قالوا {نموت ونحيا} والذي يدل على البعث كما قال الله في قوله الحق "يميتكم ثم يحييكم"؟

الجواب: أخطأوا في العبارة، وذلك من خذلان الله لهم وإجراء الحق على لسانهم قهراً. فاعترفوا بالحق في الوقت الذي أرادوا فيه إنكار الحق. وكذلك ستجد الله يقهر المبطلين لينطقوا بالحق حين يواجهوا الرسل والمؤمنين الذين أعلنوا دعوة الحق. ستجد الرد عليهم من نفس كلامهم.

لماذا لم صححوا العبارة بعد النطق بها؟ لأنهم قالوا قبلها عن الرسول {ما هذا إلا بشر مثلكم} وقالوا {ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون} فكانوا يرون أنفسهم خير من البشر، بدليل أنهم أمروا الناس بأوامر وهم المفروض بشر مثلهم فكيف يقولون لهم {لئن أطعتم بشراً مثلكم} وهم أنفسهم بشر مثلهم؟ خذلان آخر وإذلال لهم بتركهم يقعون في المغالطة، لكن باطن ذلك أنهم كانوا يتعاملون مع عامّة الناس على أنهم أفضل منهم ولا يصدر الخطأ منهم، فلم يرغبوا بتصحيح ما نطقوا به "نموت ونحيا" إلى "نحيا ونموت" حتى لا تنكسر تلك الصورة

الجلالية الزائفة. {قال الملأ من قومه} فالقوم كانوا من ملأ وعوام، لذلك تجد لغتهم في مخاطبة العوام تقسم إلى "أنتم" و "نحن". مثلاً، {ما هذا إلا بشر مثلكم} وليس "بشر مثلنا"، بل {مثلكم} أنتم. {يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون} وليس "يأكل مما نأكل منه ويشرب مما نشرب". {ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون} وليس "ولئن أطعنا بشراً مثلنا إنا إذا لخاسرون". {إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين} لاحظ هنا "نحن"، أي نحن الملأ لن نؤمن به. الملأ إذن مشغولون بإقناع العوام ليبقوا كالأنعام تحتهم، فهم فقراء إلى العوام ممن يحكمونه في الحقيقة. في عين فقرهم إليهم يتميّزون عنهم، "أنتم" شيء و " نحن" شيء آخر.

حين يتحوّل الناس إلى ملأ وعوام هكذا يصبح الناس {غثاء} كما قال الله بعدها {فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبُعداً للقوم الظالمين}. ومن هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها" قالوا "يا رسول الله فمِن قِلّة يومئذ؟" قال "لا ولكنكم غثاء كغثاء السَّيل، يُجعَل الوهن في قلوبكم ويُنزَع الرُّعب من قلوب عدوكم لحبّكم الدنيا وكراهيتكم الموت". وهذا عين ما جاء في هذه القصّة، لأن الله وصف الملأ بقوله {الذين كفروا وكذّبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا}، فمَن كفر بالله وهن قلبه كما أن بذكر الله يطمئن القلب، وسلب الرعب من قلب العدو لأن الله بقذف الرعب للمؤمنين على الكافرين فإذا صار الناس كأنهم كفاراً من حيث صلتهم بالله وطريقة عيشهم فتُسلَب هذه النعمة، والكفر بلقاء الآخرة يؤدي إلى كره الموت، والترف علامة حب الدنيا. ويدلّك أيضاً على سبب التحوّل إلى غثاء احتقار الناس لأنفسهم، وذلك من آثار صيرورتهم عبيداً للملأ من قومهم، ولذلك قال الملأ لهم {ما هذا إلا بشر مثلكم} فبالنسبة لهم البشرية وصف حقارة، والناس صاروا لا يرون إلا جانب بشريتهم ولا يرون جانب نفسهم وروحانيتهم، مع أن أهل المعرفة يرون بشريتهم وصف كرامة لأن الله خلق من طين البشرية بيديه المقدستين آدم، ويرون جانب نفوسهم وروحهم فنفوسهم من تسوية الله "ونفس وما سواها" هذا قسم تعظيمي بالنفس، وروحهم من نفخ الله "ونفخت فيه من روحي"، فهذا كلّه من تكريم بني آدم "ولقد كرّمنا بني آدم". الكرامة تبطل حين يصير القوم ملأ وعوام بهذه الصورة. وهذا ما حصل ولا يزال حاصلاً في أمّتنا. في عموم الحجاز وجزيرة العرب وما حولها، تجد ملأ من المترفين الجبّارين، وعوام من المستضعفين المقهورين. حِسّ الكرامة الآدمية انطفأ، وتحقيق سرّ الخلافة انعدم، إلا مَن رحم الله. لذلك كما قال النبي "لكنكم غثاء كغثاء السَّيل". وانظر إلى عدم مبالاة أمم الأرض عموماً بالمسلمين العرب تحديداً، وعدم هيبتهم في شيء، أرضنا مأكولة، مواردنا مأكولة، كرامتنا مأكولة، سلطتنا مأكولة، حتى مساجدنا الكبرى الحرام والنبوي والأقصى

مأكولة. الأمّة مأكولة لأن حقيقة الآدمية والرسالة القرآنية والأسوة النبوية متروكة. {فبُعداً للقوم الظالمين. ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين} وهو قوله "يستبدل قوماً غيركم". فعلينا تدارك أنفسنا قبل استبدالنا بغيرنا. نسأل الله السلامة.

...

قال شيخ أزهري ما حاصله أثناء التعليق على حديث "مَن تولّى مولى بغير إذنهم فعليه لعنة الله": مثل الذي يحاول ترك جنسية بلده المسلمة ويحاول أخذ جنسية بلد كافرة، ويحلف أنه يدافع عنها. مثلاً حتى تأخذ الجنسية الأمريكية تحلف أنك ستحارب مع أمريكا حتى لو حاربوا المسلمين. (ثم قال ما حاصله أن أمريكا ومَن يطلب جنسيتها هم شياطين، مجرمين، أتباع الدجال، وما أشبه).

أقول: أوّلاً، هذا تحريف شنيع لمعنى الحديث. فلا يوجد ولا شيخ واحد عبر التاريخ قال بأن هذا الحديث ينطبق على أمر الجنسية القومية وما شاكل. هذا الحديث يتعلّق بزمن وجود العبيد والأحرار، فإذا أعتق حُرّ عبده صار مولاه، فإذا تولّى هذا العبد المُحرر غير الذي أعتقه فعليه لعنة الله، كأن يعطي ولاءه لإنسان غير الذي أعتقه وحرره، لقول النبي "الولاء لمن أعتق". الآن، ما علاقة هذا بإنسان في هذا الزمان يتنقّل بين الدول القومية ليختار الجنسية الأنسب له؟ هل دولته الأولى التي ولد فيها هي ربّه وسيده الذي يملكه حتى لا يجوز له أن يتولى غيرها؟ آه نعم، يبدو أن الذهنية الاستعبادية العسكرية المصرية أوحت بهذا التفسير الذي هو تغيير وتحوير وليس تفسيراً. المواطنون في الدول اليوم بشكل عام ليسوا عبيداً لأي دولة، لا الأولى ولا الثانية ولا العاشرة.

ثانياً، لا توجد اليوم "بلد مسلمة" و "بلد كافرة" بالمعنى الحَدّي الذي يشير إليه. مصر نفسها التي يعيش فيها وهو شارح بها صدراً، إنما أنشأ جيشها من أواخر أيام المماليك في العصر الحديث جنود أمريكان جاءوا إليها ودرّبوهم، ثم هي دولة علمانية بشكل عام، وعسكرية ثمودية بالوصف الصحيح لأنها دولة جنود يقهرون العامّة، "هل أتاك حديث الجنود. فرعون وثمود.". ومصر اليوم أصلاً تعيش من وجه على المعونات الأمريكية لجيشها الذي هو "خير أجناد الأرض" كما يقولون ويحرّفون، وهم يطلبون رضا أمريكا وهم تبع لسياساتها في المنطقة بشكل عام، ولولا الدعم الأمريكي لانقلب الحكم في مصر في أيام معدودة، كما انقلب أيام الثورة على مبارك بمجرّد ما رفع الأمريكان عنه الغطاء. فإذا كانت أمريكا هي الدجال فمصر من أتباعه إذن. اليوم الدول قومية علمانية بشكل عام، ولا توجد دولة مسلمة سنّية، ولذلك حتى شيخك يا دكتور، شيخ طريقتك علي جمعة، يطبّق على وضعنا الراهن أحاديث عدم وجود خليفة في الأرض. لا خليفة يعني لا دولة إسلامية. أما الأقلية والأكثرية فلا تجعل الدولة "

مسلمة"، فقد كان المسلمون "أقلّية" في مصر من أيام عمرو بن العاص وإلى مئات السنين، ومع ذلك كانت دولة إسلامية باعتراف الكل.

ثالثاً، بالنسبة للقسم للانضمام للجيش الأمريكي. هذا جهل مُركَّب. لأنه يوجد في أمريكا شيء اسمه الاعتراض على الانضمام للجيش لأسباب تتعلق بالضمير، ومن أهمّ هذه الأسباب السبب الديني. ويمكن الاعتراض عن المشاركة في الحرب "ضد المسلمين" كما تقول، ورفض المشاركة بذلك بطرق قانونية مؤسسة من قبل أن يولد الدكتور. هذا أمر.

وأمر آخر، إن كنت تريد رفض التبعية لدولة تحارب المسلمين، فلماذا تبقى في مصر إذن؟ الدولة العسكرية التي تعيش في ظلّها هي ذاتها الدولة التي حارب المسلمين في اليمن قبل بضعة عقود وقتلت منهم الألوف المؤلفة. ثم نظامك العسكري قتل ويقتل ويسجن ويعذّب المسلمين ويرعبهم ويرهبهم داخل مصر إلى يومنا هذا. ثم نظامك العسكري اليوم ينهب وينصب حتى المساعدات التي تذهب إلى غزّة ويمنع فتح معبر رفح لدخول المساعدات وردم الأنفاق التي كانت توصل المساعدات لهم، وهلمّ جرّاً. أم يا ترى ينطبق عليكم {ويل للمطففين}، فإذا فعلت أمريكا شيئاً فهي الدجال وإذا فعلت مصر مثله أو أخسّ منه فهي..."دولة مسلمة".

أمر ثالث، بالنسبة لأمريكا، إذا اعترض شخص على الحرب العلمانية وقال "أنا أومن بالحرب الدينية فقط التي يأمر بها الإله"، فهذا أيضاً قد يعطونه إعفاءً من الاشتراك في الحرب، أيا كانت الحرب. أرني مثل هذا في مصر "المسلمة".

رابعاً، سمعتك أكثر من مرّة تحرّف هذا الحديث فلذلك كتبت ما كتبت، فاتق الله يا دكتور. وتحريف آخر لا أدري لماذا تصرّ عليه وأنت قارئ للأحاديث، هو قولك بأن أمريكا هي الدجال وأتباع الدجال. اتق الله. الدجال في الأحاديث سيخرج من خراسان، من المشرق، وأمريكا في المغرب ولا علاقة لها بالأمر. هذا أمر. وأمر آخر، الدجال سيكون شخصاً متألهاً يعبده الناس وسيمنع الحرية الدينية ولذلك ربطه النبي بأوائل سورة الكهف إلى أول آيتين من قصّة أصحاب الكهف، إشارة إلى أنه أيام الدجال لن يكون للناس حرية قول ودعوة ودين، "إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملّتهم". الآن، قارن بين أمريكا ومصر بل بين أمريكا وكل الدول "المسلمة" بزعمك، وأرنا أين يؤله الناس الحاكم ولا حرية كلامية ودينية لهم، على الأقل اعقد مقارنة وانظر أيهما أولى بهذه الصفة. في أمريكا، المسلمون لهم حرية كلامية ودينية لممارسة الإسلام والدعوة إليه لا يوجد مثلها في جميع الدول "المسلمة" شرقاً وغرباً. أما مصر، فلا داعي لأحدّثك عن وضعها "الدجالي"، فأنت أدرى.

خامساً، لا توجد دولة قومية في الإسلام أصلاً. وهذه بحد ذاتها نوع من الجاهلية حيث تفرّق الناس إلى قبائل وعشائر. فبدلاً من أن تدافع عن القومية والجنسية، الأولى بك أن ترفض ذلك كله، فإنها منتنة. أما إن كان ولابد من الكلام على أساس "الأمر الواقع"، فإذن اقبل الأمر الواقع حتى بالنسبة لتغيير الجنسية.

سادساً، الأهمّ من كل ما سبق، هل أغنت "الدول المسلمة" المسلمين سواء من ناحية الكرامة الإنسانية أو الحرية الكلامية والدينية أو حتى المعيشة الاقتصادية، حتى لا يهاجروا إلى تلك الدول؟ ثم عبر التاريخ، كان من المسلمين مَن يسعى في أرض الله لينشر الإسلام، وحتى لو كانوا أقلّية، فالآن كما قال شيخك علي جمعة ما معناه أن الحاصل الآن دخول المسلمون إلى تلك الدول الأوروبية والأمريكية، وهذا أمر كان مستحيلاً في الماضي، فالآن انفتحت هذه البلدان مع الحرية للمسلمين بشكل عام للدعوة، فلماذا تعارض هذا الأمر وهو من حكمة نشر الدعوة في الأرض؟

سابعاً، ليست كل حرب ضد المسلمين تعتبر عدواناً. افتراضك أن أي حرب من الأمريكان أو غيرهم على المسلمين تساوي العدوان، افتراض باطل من جميع الوجوه الدينية والدنيوية. {قاتلوا التي تبغي} فالمسلم قد يبغي فيستحق القتال. أقول هذا من حيث المبدأ، وليس من حيث ما وقع فعلاً في الماضي أو يمكن أن يقع في المستقبل. وبما أنك عالِم وفقيه، فلابد من الكلام على هذا المستوى أيضاً للتوضيح.

ثامناً، شيخك علي جمعة برر عدم مساعدة مصر لأهل غزة بتبريرات دنيوية. تقول بأنك تريد ما ينفع في الآخرة لا في الدنيا التي تركتها لـ "الشياطين". استمع لتبرير شيخك لعدم مساعدة غزة، كله كلام لحفظ مصالح الدنيا. أرونا تقديم الآخرة على الدنيا في المهمات، ومع الحكومات، قبل توجيه هذه المواعظ لعامّة المسلمين.

تاسعاً، شيخك علي جمعة ابنته في أمريكا، ومتزوجة من أمريكي كما أخبرني صاحبه. ولما هاجرت إلى مصر معه وأولادها على أساس أن مصر بلد "إسلامي"، وصلوا ورأوا الحقيقة ورجعوا إلى أمريكا. هذا الدجل على أصوله، تحسب أنه جنّة فإذا به نار. أم يا ترى ستقول بأن شيخك ترك ابنته كما ترك نوح ابنه ليغرق مع المُغرقين؟ ممكن. لكن لا أحسبه الحق. فإن المسلم الأمريكي أكثر تمسّكاً بالإسلام من المسلم العربي، بشكل عام، والاستثناء استثناء.

أخيراً، إن افترضنا أنك أخذت جنسية بلد "مسلمة" أو "كافرة"، وكانت ستقوم بحرب غير عادلة ورفضت ذلك، فأمامك خيارات بديهية: هاجر إلى بلد أخرى، أو اقبل العقوبة شهادةً في سبيل الله. كما ستفعل الآن لو أمرك الجيش المصري الانقلابي المجرم بأن تذهب لتقتل

الفلسطينيين حتى يرضى عنكم الصهاينة، فهل ستفعل أم سترفض؟ أو لو أمروك بقتل اليمنيين من جديد أو ما أشبه، فماذا ستفعل؟ إن قلت "سأطيع الريّس" فأطع هناك أيضاً، فكله ظلم وعدوان. وإن قلت "سأعصي وأقبل العقوبة شهادة في سبيل الله" فافعل ذلك هناك أيضاً. ولا تجلس في دار القهر التي شرحت بها صدرك، وتقترح على المهاجرين في سبيل الله ما الذي عليهم أن يفعلوه في الأرض، فالأمر أوسع مما تتصوّر، واتق الله ولا تعتقد فيهم الإجرام أو الشيطنة أو الدجل، وانظر في ما أنت فيه قبل أن تحكم عليهم، فنفسك أولى بالنظر. نصيحة يا شيخ: كلامك في التصوف والفقه والحديث وما أشبه حسن، لكن كلامك في السياسة وأمور الدنيا بشكل عام غير حسن بل سيء للغاية أحياناً، وأنت لست في دولة تستطيع فيها التكلّم بحرية أصلاً وأنت في ظنّي غير مُكرَه على قول ما تقوله، فإلى أن تصبح في دار تملك فيها لسانك فعلاً فدع عنك هذه الأمور واشتغل بما هو أولى.

...

قالت: كنت سأسألك عن رأيك فيمن يقول للغزّاويين أنهم "يخونون" بلدهم أو أنهم "يرفضون" نعمة الله عليهم ألا وهي الاستشهاد في سبيله عندما يهاجرون إلى خارج فلسطين أو حتى عندما يرفضون ما يحدث لهم من ظلم واضطهاد، وسبحان الله رأيت من آخر منشوراتك رد على من يقول بأن من يهاجر هو مجرم وما أشبه، سؤالي الآن، ما هو الرد على من يقول بأن الغزاوي المهاجر هارب من الاستشهاد في سبيل الله؟

ألم يهاجر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بسبب أذى أهل مكة المجرمين؟ وكيف صار سهلا على الناس أن تتهم من يريد الابتعاد عن كل الأذى الجنوني الذي يحصل في غزة؟ ومتى يعرف الإنسان أنه قد يكون فعلا وقع عليه أن تهرب من الاستشهاد مثلا؛ خوفا من الألم أو حتى تعبًا من الظلم؟

وبالنسبة للاستشهاد أو "الموت في سبيل الله" هل هو دائما أفضل وأحسن من أن يختار الإنسان مثلا أن يهاجر مبتعدا عن الظلمة ليستطيع ممارسة دينه بشكل مسالم بعيدا عن القنابل والرعب والاضطهاد؟

قلت: {ومَن يولّهم يومئذ دُبره إلا مُتحرّفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله}، فرق بين أصحاب القتال وبين غيرهم من النساء والأطفال والعاجزين والمرضى وما أشبه. أصحاب القتال لا يجوز لهم الفرار من الزحف والهرب منه. لكن غيرهم شأنهم مختلف.

أما عن قولك عن سبب الهرب "ليستطيع ممارسة دينه"، فالرجال المقاتلون في سبيل الله دينهم هو ممارسة قتال الدفاع عن دينهم وأرضهم. لو يعرف الناس ماذا في سماع "القنابل

والرعب والاضطهاد" لطلبوا البقاء تحت القنابل إلى يوم الدين. إذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما معناه لا يدخل النار مَن دخل غبار الخيل في أنفه أثناء الجهاد في سبيل الله، هذا في الغبار فقط، فما ظنّك بما يمرّ به أهل غزّة سيدنا هاشم اليوم. هذا بالنسبة للمقاتلين من أهل الأرض المكتوب عليهم القتال، أو مَن يريد الأفضل لدينه فيختار الانضمام لهم.

قياس ما يحدث الآن في غزة على هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب أذى أهل مكّة، قياس فاسد. وقياس ينشره الوهابية عبيد الدول الأعرابية المتصهينة، وأشباههم من عديمي الفقه. القياس الصحيح هو: هل كان النبي والصحابة يفرّون من معارك بدر وأحد وحنين وما أشبه، وهل الفرار في هذه المواطن عمل صالح يُقتدى به. فتوى الوهابية ب"الهجرة" من غزة هي نوع من اليهودية التي تحرّف دين الله وكلام رسوله، ويستعملون الألفاظ ف يغير موضعها. هذا ليس "هجرة" لكنه فرار من الزحف وبراءة من المؤمنين وتشبّه بالمنافقين الذين كانوا يقولون "لا تنفروا في الحَرّ" ويبحثون عن ملجأ ومغارات للهروب من الجهاد الشرعي العادل المكتوب عليهم. هذه باختصار فتوى المنافقين لا فتوى المؤمنين، وقياس الجاهلين لا قياس القرآنيين.

المنشور الذي تتحدّثين عنه يتعلّق بمن حاله مثل حالي، يعني فرد متوحّد في بلدة حكومتها وأكثر أهلها يرفضون حرية الدين والكلام، فيضطر إلى الهجرة من أجل نشر كلام الله وما فُتح له من البينات وللدعوة إلى الله. لا علاقة لكلامي ذاك بمن هو في حال أهل غزّة الكرام.

قالت: لا أنا ما أقصد في كلامي المقاتلين الذين في يدهم القدرة والسلاح كنت أقصد الصحفيين مثلا أو العزل المدنيين. لأن للأسف هؤلاء يلقون من ناس غريبة كثيرا من الكلام الشبيه بأنهم ملعونون مثلا لأنهم يتركون نعمة غزة ويهاجرون خوفا من الموت وغيره... بس تقريبا المشكلة هي عدم التفرقة بين المقاتل وغير المقاتل في غزة وما كنت واعية لهذي التفرقة، وحتى الخوف من الموت لأن ممكن إذا خاف الإنسان من شي أكثر من إيمانه بالله وخشيته من الله فقد يدخل في مداخل الشرك والعياذ بالله، ومع ذلك يظل قياس الناس تحت الحرب مختلف عمن ليسو في ظروف حرب.

قلت: الصحفي الآن له رتبة المقاتل بل لعله خير من المقاتل من جهة. أما رتبة المقاتل لأنه في المعركة ويتلقّى الضرب أيضاً ويُحارَب محاربة فعالة مقصودة من الصهاينة المجرمين فيقتلونهم حتى لا يبلغوا للناس جرائمهم، فالصحفي الآن يقاتل حرباً إعلامية كما أن صاحب السلاح يقاتل حرباً دموية، ولولا الحرب الإعلامية لضاعت بالنسبة للرأي العام العالمي قيمة ما يقوم به أصحاب الحرب الدموية وأصل عدالة القضية الغزاوية. وأما أن الصحفي لعله غير من المقاتل

بالسلاح، فذلك لأن النبي قال "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" والصحفي عمله إظهار كلمة الحق وتبليغ الواقع للناس في وجه الصهيوني المتسلط الجائر، وكذلك لأن الصحفي لا يدافع عن نفسه فقد يهون على صاحب السلاح الدخول في المعركة تحديداً لأن بيده السلاح ويدافع به عن نفسه ويقتل به عدوه لكن الصحفي أعزل فهو مثل ابن آدم الذي قال "لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك"، فشجاعتهم أكبر وتضحيتهم أعظم من هذا الوجه. أما المدني الخالص، الذي لا يشارك لا بالسلاح ولا بالإعلام، ولا بدعم المسلحين والإعلاميين وهو قادر على ذلك ولو بالدعم المعنوي، فهذا إما أنه عاجز مطلق فلعل الله يعذره وإما مسؤول عن سبب تركه دعم إخوانه في وقت حاجتهم، فجهاده دعم المجاهدين.

...

المقصود من بيوتنا الاستقرار للتأمل في الطبيعة. والمقصود من الطبيعة الاستبصار لقراءة القرءان. والمقصود من قراءة القرءان تحصيل الراحة الأبدية وحمد الله بمحامد لانهائية.

استفدت هذا المعنى بفضل الله من رؤيا رآها صاحبي وأخي فيصل حدّثني بها اليوم.

...

{تعملون عليم. إن هذه أمّتكم أمّة واحدة وأنا ربّكم فاتّقون} مرآتها {أم يقولون به جِنّة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون}

معنى: الله عليم بما يقولونه، فلا تتأثّر به واترك حسابهم لله. والله عليم بحقيقتك، وحقيقتك قائمة في علم الله وليست قائمة في عقل الذين يقولون "به جِنّة"، فانظر لنفسك بحسب ما في علم الله وليس ما في عقل الجهلة. مرآة ذاتك علم الله، لا عقول الناس.

معنى آخر: {إن هذه أمّتكم أمّة واحدة} لأنها أخذ ما جاء به الرسول من الحق، ولأنها تحبّ الحق. فوحدة الأمّة مبنية على الحق من وجهين، وجه تقبّل ما جاء به الرسول، ووجه محبّة الحق في ذاته. بدون هذين الأمرين، لا وحدة بل ستتفرّق الأمّة. وهذا ما تشير إليه الآية التالية ومرآتها.

{فتقطّعوا أمرهم بينهم زُبرا كُلّ حزب بما لديهم فرحون. فذرهم في غمرتهم حتى حين. أيحسبون ما نمّدهم به من مال وبنين.} مرآتها {ولو اتّبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومَن فيهن بل أتيناهم بِذكرهم فهم عن ذكرهم مُعرضون.}

معنى: الزُبر هـي ما كتبه كل حزب بناء على هواهم، ومضمونه لا ذكر للناس فيه أي هو كلام عن أناس آخرين وشؤون أخرى لا تتعلّق بقارئ الكتب في ذاته الحية. الأحزاب تكتب من الهوى وتتحدّث عن السِّوى. بينما الرسل تكتب من الآيات وتتحدّث عن الذوات.

...

فـي الـصلاة الـربّـانـيـة عـلى الـنبي الـتي فـتحها الله عـليّ "الـلهم ربّـنا، صـلّ وسـلّم وبـارك على" خُتمت باسم "خير الرازقين". وفي ذلك خمسة أسباب، لأن اسم "خير الرازقين" جاء في القرءان خمس مرّات، في كل واحدة منها إشارة إلى سر يتعلق بطريقتنا.

الآية الأولى {قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وءاخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين}. فلنا أسوة بعيسى في توسّله بهذا الاسم الإلهي أثناء الدعاء. وكذلك الصلاة على النبي هـي طلب إنزال الأنوار على نبينا محمد حتى يُطعم الخلق من النور النازل عليه لأنه "ما هو على الغيب بضنين"، فكل ما يُعطيه ربّه يُعطيه هو عليه الصلاة والسلام لأمّته، وأمّته العالمين "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين". وكذلك كما أن الله استجاب دعاء عيسى حين توسّل بهذا الاسم، ولو في أمر عظيم كإنزال المائدة، كذلك نحن نرجو استجابة الله لنا حين نصلّي على النبي بهذه الصلاة الربانية. تنبيه آخر، بدأ دعاء عيسى بقول {اللهم ربنا} وخُتم بقول {وأنت خير الرازقين}، وكذلك صلاتنا على النبي بدأت بقول "اللهم ربنا" وخُتمت بقول "وأنت خير الرازقين"، فهي صلاة ذات وراثة عيسوية، ولنا من مَثل عيسى حكمة أخرى، فمثل عيسى الذي قال الله فيه "وجعلنا ابن مريم وأمّه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين"، كذلك جعل الله لي هذه الآية بشرى وهداية في هجرتي بكتبي إلى هذه الأرض وجعلني الآن في ربوة ذات قرار ومعين، وهـي الآية التي فُتحت لي حين استخرت في الهجرة إلى هذه الأرض.

الآية الثانية {والذين هاجروا في سبيل الله ثم قُتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين}، كما ترى الاسم متعلق بالهجرة في سبيل الله التي أشرنا إليها قبل قليل. وكذلك في الآية بشارة وراحة للنفس وتخليص لها من الخوف من القتل أو الموت، فإن الله سينجّي المهاجرين في سبيله والمتوسّلين باسمه، كما نجّى الله عيسى من اليهود بتوفّيه ورفعه إليه وتطهيره منهم. لكل طريقة إمام، والمأموم له حظّ من إمامه، وطريقتنا هذه أئمتها من المهاجرين.

الآية الثالثة {أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين} آية أخرى من آيات طريقتنا وهـي عدم سؤال أئمتها مالاً أو أجراً أو شكوراً أو خرجاً من الناس لإقامتها. هـي طريقة لا يؤخذ المال من أتباعها للدخول فيها والبقاء فيها ولا يُطرَد منها مَن لا يعطي المال

للإعانة على شؤونها. إمام الطريقة لا يسأل خرجاً، وربّه يرزقه. وهي من خصائصه التي ورثها من المرسلين.

الآية الرابعة {قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين}، في رزق الظاهر والباطن، أي رزق المال والأقوال، الأمر بيد ربي، هكذا يؤمن ويقول إمام الطريقة وأهله بالحق. وهو يشهد بأن ما ينفقه من أقوال يخلفه الله له ويزيده، كما قال "لئن شكرتم لأزيدنكم"، ولذلك من شأنه حبّ الإنفاق. وكذلك في أمر المال بالتبع للأقوال المعرفية التي هي مال الآخرة.

الآية الخامسة {وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين}، سيعاني أصحاب طريقتنا من أتباع لا يحسنون التمييز بين اللهو والتجارة وبين كلام رسول الله والصالحين من عباده، سيترددون بين هذا وذاك، لأنه يعيش في تأويل المدينة في هذا الزمان، حيث التجارة واللهو أكبر ما يقوم عليه شأن عوام المدينة، ولابد من تذكيرهم باستمرار لاختيار مسجد العلم والحكمة على سوق اللهو والتجارة.

عيسى، المهاجرون في سبيل الله، والنبي. في هؤلاء الثلاثة نزل اسم "خير الرازقين". وهؤلاء الثلاثة هم مُثُل طريقتنا، وأنوارهم يرثها بإذن الله مَن يصلّي الصلاة الربانية ويتوسّل باسم خير الرازقين، فيقول معنا:

اللهم ربّنا، صلِّ وسلّم وبارك على، سيدنا محمد ومولانا أحمد، العبد الكلّي والنبي الأمّي والرسول العربي، وعلى آله الظاهريين والباطنيين من الأولين والآخرين وأنت خير الرازقين.

...

{حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجرون} يجرون هرباً ويجأرون صوتاً. لماذا؟ لأن كل واحد جعل المترفين في قومه مَثله الأعلى، وجعل تحصيل القدرة على الترف غايته القصوى. فلمّا رأى أخذ المترفين بالعذاب، تحيّر وبُهت وشعر بتهافت ما هو فيه وانكسر مثله الأعلى الباطل.

...

{ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين}

تأويلها: محمد وعلي بالقرءان وأنا، أُبيّن حقيقة النبوة والولاية والقرءان بإذن الله وفتحه.

...

{أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون}

الرسول ووارث الرسول لا يكون إلا معروفاً، وإلا لجاز إنكاره. وهذا يُبطل دعاوى الإمام الغائب المجهول.

مرآتها {يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني ما تعملون عليم} والمعنى: الرسول معروف بأكل الطيبات وعمل الصالحات ومراقبة الله في كل الأوقات. ولذلك قال "اتبعوا مَن لا يسألكم أجراً وهم مهتدون"، فمَن سأل الأجر فأكله غير طيب، ومَن عمل الفاسدات فهو غير مهتدي، ولا يهتدي مَن لا يراقب الله في حركاته وسكناته ظاهراً وباطناً.

...

{إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون} يقرأون سورة الفيل والمسد.

{والذين هم بآيات ربهم يؤمنون} يقرأون سورة القدر.

{والذين هم بربّهم لا يُشركون} يقرأون سورة الكافرون والإخلاص.

{والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون} يقرأون سورة الزلزلة.

{أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون} بإذن الله.

...

{وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون} مَن آمن بالله ولم يؤمن بالآخرة فهو عن الصراط ناكب أيضاً، هذا إن فرضنا صحّة إيمانه بالله. لا استقامة بدون الإيمان بالآخرة، لأن الصراط أصلاً أخروي ونفسي وباطني وغيبي.

مرآتها {بآيات ربهم يؤمنون. والذين هم بربهم لا يشركون}، الآية شهادة تشير إلى الغيب فلابد من الإيمان بغيب الآخرة وإلا نكب السامع والقارئ للآية عن حقيقة مدلولها. الرب متعالي، فمَن لم يؤمن بالمتعالي وهو آخرة العالَم الظاهر والباطن لأشرك بربه لأن الشرك اتخاذ ما هو من العالمين كإله وسبب حقيقي فعّال بذاته. هذا وجه. وجه آخر، قيمة الآية في ظهور تأويلها الذي هو واقعها، وواقعها هو آخرتها، فمَن لم يؤمن بالآخرة لم يبالي بالآية. والتوحيد عاقبته أيضاً تظهر في الآخرة، حين يجمع الله المشركين ومَن اتخذوهم شركاء فيتبيّن بطلان ما كانوا عليه، فمَن لم يؤمن بالآخرة نكب عن التوحيد وكان عرضة لذلك.

فالدين يمكن تلخيصه بالإيمان بالآخرة تحديداً، لأن الإيمان بالله وآياته ورسله وقدره وحكمه كله مبني على الإيمان بالآخرة. {وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم. وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون}.

...

مَن ظهر بالعنف وجبت مقاومته، ومَن أظهر اللطف حَسُنَت موافقته.

...

{ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض بغير الحق}

بعض أهل الاجتهاد في العبادات، قد يرغب في الازدياد من العبادات ويتمنّى القيام بعظيم المجاهدات، لكنه يُمنَع من ذلك من قبل العناية الإلهية، لعلم الله بأنه لو فُتح له رزق العبادات هذا الذي يتمنّاه لبغى وطغى ولأُعجب بنفسه ونسي المقصود من العبادة من الخشوع لله والتذلل لعباده المؤمنين "أَذلّة على المؤمنين". البسط في الرزق إن أدّى إلى القبض في العشق بطلت قيمته وانعدمت حكمته. ليس كل بسط خير، ولا كل قبض شر. قد يكون البسط قبضاً، والقبض بسطاً، وجهين مختلفين خفيين على غير الناظرين بنور الله وبعين القلب.

...

{لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً}

{الراسخون في العلم منهم والمؤمنون} قدَّم الرسوخ في العلم على الإيمان.

{يؤمنون} الراسخون والمؤمنون علامتهم الإيمان بثلاثة أمور، الثلاثة مفعولات إيمانهم وموضوعات إيمانهم التي تميّزهم وترفع قيمتهم: يؤمنون أوّلاً بـ{ما أُنزل إليك}، ويؤمنون ثانياً بـ{ما أُنزل من قبلك}، ويؤمنون ثالثاً بـ{المقيمين الصلاة} كما قال الله عن رسوله "يؤمن للمؤمنين"، أو قال "يؤمنون بالله ورسوله"، أو "آمن بالله وملائكته"، لذلك قال {المقيمين} وليس "المقيمون"، لأن {المقيمين الصلاة} تابعة لما اتصل بحرف الجر {ب} من {بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك والمقيمين الصلاة}. يؤمنون بالمُنزَل والمصلّي بالمُنزَل، "أقم الصلاة لذكري". فبدأ بالمُنزَل المُهمين {بما أُنزل إليك} وهذا القرءان الذي هو الأول والآخر في الوحي، "إنه لفي زُبر الأولين" فدلّ على حضور نور القرءان غيباً في زُبر الأولين، "ومهيمناً عليه" فدل على إحاطة ومحافظة القرءان على ما سبق فدل على أن حضور نوره في زبر الأولين كان حضور علو لأنه الأصل والمبدأ الأعلى لكل ما نزل من الوحي كما أن حقيقة خاتم النبيين هي الأصل والمبدأ لكل مَن بُعث من النبيين، فالآخر بالصورة هو الأول بالحقيقة، والآخر في الدنيا هو الأول في العليا، "أنا أول المسلمين" "أنا أول العابدين". هذا إيمانهم بالمُنزَل، ولذلك ذكر {ما أُنزل إليك} قبل {ما أُنزل من قبلك}، فتركيب الآية يدل على أن المُنزَل على الخاتم قبل المُنزَل من قبله، فهو قبلهم وهم قبله من وجهين، هو قبلهم بالحقيقة الغيبية وهم قبله بالصورة بالزمانية، فجاء تركيب الجملة بحسب الحقيقة الأصلية {ما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك}، وجاء لفظ {من قبلك} ليشير إلى الصورة الزمانية، قال النبي صلى الله عليه وسلم "نحن الآخرون الأولون يوم القيامة"، مَن قام من موت الجهل اليوم يشهد هذا بإذن الله. ثم قال {والمقيمين الصلاة} يعني يؤمنون بالمقيمين الصلاة. أول المقيمين الصلاة هم الرسل، كما قال إبراهيم "رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي"، [إضافة: لاحظ قول إبراهيم "اجعلني مقيم" وليس "اجعلني أُقيم الصلاة" سأل

أن يكون من المقيمين الصلاة وليس من الذين يقيمون الصلاة، سأل الاسم وليس الفعل] فيؤمنون بالنبيين جميعاً "قولوا آمنّا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم" ثم الذين آمنوا بالنبيين أيضاً من المتقين "هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة"، ومَن حافظ وداوم على شيء تسمّى به، فلمّا كان شأن المؤمنين المتقين المحافظة على الصلاة لقوله " وهم على صلاتهم يحافظون" والمداومة على الصلاة "على صلاتهم دائمون"، كان اسم مقيم الصلاة لائقاً بكل واحد منهم فاسم مجموعهم هو {المقيمين الصلاة}. هي صلاة كذلك لأنها تابعة لما أُنزل على النبي والنبيين، فالنبي سابق والمؤمن مُصلّي وهذا معنى المصلّي في اللغة أي التابع التالي للشيء، فلما بدأ بذكر إيمانهم بـ{ما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك} فذكر النبي والقرءان وكل نبي وما أوتيه من ربه، ثنّى بذكر الذين أقاموا ما أُنزل واتبّعوا مَن أُنزل عليه فقال {والمقيمين الصلاة}.

ثم بعدها ابتدأ جملة فقال {والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً}، فبدأ بذكر إيتاء الزكاة وهو فعل، وثنّى بذكر الإيمان بالله واليوم الآخر، فدلّ على أنها جملة منفصلة من وجه عن سابقتها إذ ذكر قبلها {المؤمنون} من قوله {الراسخون في العلم منهم والمؤمنون}، فلمّا ذكر هنا {المؤمنون بالله واليوم الآخر} دلّ على البدء بكلام منفصل من وجه وإن كان متصلاً من وجه آخر لكونها آية واحدة.

فضيلة الرسوخ في العلم والإيمان، بل ثوابهم هو تحديداً فتح الله لهم للإيمان بما أُنزل مطلقاً والإيمان بالمقيمين الصلاة، أي الإيمان بالمُنزَل والمُنزَل عليهم ولهم. فالإيمان بحد ذاته نور وثواب وسعادة للنفس، الإيمان ثواب الإيمان، نوره مقصود بذاته وسعادة بحد ذاته. "لهم أجرهم ونورهم". فذكر هنا النور، الذي هو نور الإيمان. فهذا الشطر الأول من الآية الذي يبدأ من قوله {ولكن الراسخون} إلى قوله {المقيمين الصلاة}، أي هذا الشطر يتعلّق بثواب "نورهم".

الشطر الآخر الذي يتعلق بثواب "أجرهم"، شرحه بقوله {والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً}. وهذا مثل "قد أفلح المؤمنون. الذين في صلاتهم خاشعون. والذين هم للزكاة فاعلون"، فبدأ بذكر الإيمان و الصلاة ثم الزكاة، كما جاء في هذه الآية {يؤمنون بما أنزل إليك وما أُنزل من قبلك والمقيمين الصلاة} فذكر الإيمان والصلاة، ثم ذكر {والمؤتون الزكاة} لكنه قرنها بالإيمان أيضاً حتى يُعلَم أن الإتيان بالزكاة بدون الإيمان {بالله واليوم الآخر} غير مقصود بالآية، ولذلك قال {أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً}، فإيتاء الزكاة له أجر، لكن بدون الإيمان بالله واليوم الآخر قد يُعجَّل أجره في الدنيا كالذين يوفّي الله لهم أعمالهم في الدنيا والعياذ بالله، وقد يرفع دركتهم في النار والعياذ بالله. أما الأجر العظيم

الذي تشير إليه الآية فإنما صار عظيماً لاقتران الزكاة بالإيمان بالله واليوم الآخر، وعلى هذا النسق جاء ذكر الجزاء {أجراً عظيماً} فذكر الأجر قبل ذكر عظمته كما ذكر {المؤتون الزكاة} قبل {والمؤمنون بالله واليوم الآخر}، هذا وجه. "قد أفلح مَن تزكّى. وذكر اسم ربه فصلّى"، فالزكاة قبل الذكر والصلاة وهما صورة الإيمان بالله واليوم الآخر، فذكر الله إيمان بالله، والصلاة إيمان باليوم الآخر "أقم الصلاة لذكري. إن الساعة آتية".

هذه الآية إذن تنقسم إلى قسمين، الأول يُبيّن نور الإيمان والآخر يُبيّن الأجر العظيم. أما نور الإيمان فأهله {الراسخون في العلم والمؤمنون}. وأما الأجر العظيم فأهله {المؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر}. وموضوع نور الإيمان ثلاثة {يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك والمقيمين الصلاة}.

لا يقال: لا يحسن البدء بذكر {المؤتون الزكاة} كجملة مستقلة بل "المقيمين الصلاة" هي أول الجملة. لأنا نقول: قد بدأ بالزكاة حتى قبل الذكر والصلاة في قوله "قد أفلح مَن تزكى. وذكر اسم ربه فصلّى"، هذا أوّلاً. وثانياً، لو أراد البدء بذكر المقيمين الصلاة لقال "والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة"، فيعطف المرفوع على المرفوع. ثالثاً، قد قدّم الزكاة على الإيمان بالله واليوم الآخر في هذه الآية {والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله} فحيث قدّم الزكاة على الإيمان بالله فلا يُستبعد البدء بها استقلالاً عن الصلاة. هذه ثلاثة أجوبة واحد منها يكفي.

{يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك والمقيمين الصلوة} أربعة عشر حرفاً، وهم "الرسول وأولي الأمر منهم"، أربعة عشر نفساً، بعدد الحروف النورانية من فواتح السور: نص حكيم له سر قاطع، وهي الحروف التي تدل على كل تنزيل "حم. عسق. كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم". أربعة عشر حرفاً تتضمّن سرّ {ما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك}، وظهرت في أربعة عشر نفساً من {المقيمين الصلاة}.

ثلاث مرايا:

آية {لكن الراسخون في العلم} وهي الآية ١٦٢ من سورة النساء، مرآتها العكسية وهي الآية التالية لها أيضاً ١٦٣ تقول {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا}، وما بعدها أيضاً يشهد بما سبق ذكره.

وكذلك الآية ١٧٠ هي مرآتها الخطّية {يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً}، فقوله {فآمنوا} هنا يدل على نور الإيمان المشار إليه بقوله هناك "يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك والمقيمين الصلاة" فإذا آمنوا بالحق الذي جاء به الرسول فقد آمنوا بكل ما أُنزل وبكل مقيم للصلاة من الرسل، وكذلك بإيمانهم هذا الذي سيتجلى بتمسّكهم بالمنزل وقراءتهم له وذكرهم له وهي الصلاة سيكونوا هم أنفسهم من الذين يقيمون الصلاة، إلا أن فرقاً دقيقاً يكمن هنا وهو أن الرسل من {المقيمين الصلاة} بالاسمية التي تدل على الثبات والقيام بالذات {المقيمين} لأن الله جعلهم كذلك "رب اجعلني مقيم الصلاة"، لكن المؤمن يقيم الصلاة وحظّه من اسمها الدخول في صورة "الذين يقيمون الصلاة"، ففرق بين {المقيمين الصلاة} وبين "الذين يقيمون الصلاة"، كما أنه يوجد فرق بين الذين آمنوا وبين المؤمنين، ويوجد فرق بين الذين كفروا والكافرين، تمام ثبوت إقامة الصلاة وتحقيقها بكمالها على الدوام حتى تصبح خاصّية من خواص الذات يجعل العبد من {المقيمين الصلاة}، لكن فعلها مع إمكان تركها أو تصور تركها عند فاعلها أو قبوله لاحتمال وجود ذاته بدون إقامة الصلاة ولو فعلها بحسب الصورة يجعله من "الذين يقيمون الصلاة" وهي درجة شريفة لكن درجة المقيم أعلى منها. لذلك الأصل في دلالة {والمقيمين الصلاة} هم الرسل، ويدخل فيهم تبعاً الذين يقيمون الصلاة من قبيل "مَن تبعني فإنه منّي"، فهي للرسل حقيقة ولمن اتبعهم نسبة. هذا فيما يتعلق بأمر {فآمنوا خيراً لكم}. أما {وإن تكفروا} فيوازي "والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر"، فعدم إيتاء الزكاة كفر، وعدم الإيمان بالله واليوم الآخر كفر.

الآية ١٦٢ وهي في آخر الصفحة تعكس أيضاً الآية التي في رأس الصفحة، وهي قوله {فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا}. فإن قوله {فبما نقضهم ميثاقهم} يوازي "لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون" وهم الذين حفظوا الميثاق. وقوله {وكفرهم بآيات الله} يوازي "يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك" وهو ظاهر أيضاً لأن الكفر ضد الإيمان والمُنزَل هو آيات الله. وقوله {وقتلهم الأنبياء بغير حق} يوازي "والمقيمين الصلاة"، إذ كما بيّنا سابقاً هؤلاء بالأصالة هم الأنبياء، فالكفر بهم قتل لهم ومن هنا جاء في الأحاديث ربط تكفير المؤمن بقتله. وقوله {وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها} يوازي "والمؤتون الزكاة" فإن الزكاة تزكية القلب من كل ما يغلفه "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" "أتى الله بقلب سليم"، وقوله {بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا} يوازي "المؤمنون بالله واليوم الآخر" وهو ظاهر الصلة.

...
طريقة لدراسة سورة يوسف: ابدأ من آخر السورة، من الآية ١٠٢، خذ آية بعد آية، لكن حين تأخذ الآية ١٠٢ مثلاً اقرأ السورة كلها من ١ إلى ١٠١ كتفسير لهذه الآية وشواهد عليها. ثم خذ الآية ١٠٣ واقرأ القصّة كلها وابحث عن أدلة تبيّن مضمون الآية من قصّة يوسف. وهكذا.

القرءان فيه كلام تجريدي وكلام تمثيلي، والتمثيلي يشرح التجريدي.

في سورة يوسف يوجد تمييز بين أنواع أنواع الكلام في القرءان. أول ثلاث آيات تخاطب النبي بكلام تحريدي يتعلق به، ثم قصّة يوسف من رؤياه إلى دعائه، ثم آيات تجريدية فيها حقائق وقواعد كلّية. هذ الكلام التجريدي أولاً، وخصوصاً الذي في آخر السورة كمنطلق للدراسة حتى تنظر بعين التجريدي في التمثيلي فيتبيّن لك بإذن الله سبب إيراد هذه التفاصيل في القصة. كل كلمة بل كل حرف في القصة إنما هو شاهد ومصداق لحقيقة تجريدية من التي وردت في الآيات ١٠٢ إلى ١١١. وحتى ما ورد في ١ إلى ٣ شواهده في قصة يوسف.

السورة أولها تجريدي وأوسطها تمثيلي وآخرها تجريدي، حتى تعلم أن الأصل في البيان التجريد، والتجريد هو الذي يخاطبك أنت ككائن حي فيكون القرءان لك كالعقل الحي الذي يكلمك ويهديك سبيلاً، لا كالعجل الجسد الذي له خوار بلا إفاضة أنوار وكشف أسرار.

...
اليأس كفر. "لا ييأس من رَوْح الله إلا القوم الكافرون". لماذا؟

لأن اليأس كفر بقوله "الله نور السموات والأرض". إذ اليائس في ظلمة. فإما يُنكِر وجود النور تعالى القادر على إخراجه من ظلمته، وإما يُنكر إطلاق النور الإلهي ويعتقد محدوديته فكأنه يقول "النور موجود لكنه محدود لا يصل إليّ" بينما الله يقول "الله نور السموات والأرض" فأثبت سعة النور ليشمل الخلق كله من أعلاه إلى أسفله فلم يستثنِ شيئاً، أو جمع بين كل ما سما وكل ما دنى، ومن ذلك شموله لكل ظلمة نفسية وحِسّية "فعند الله ثواب الدنيا والآخرة".

إذن، اليأس كفر بالنور الإلهي، وجوداً أو إطلاقاً.

اليأس ليس مجرّد حالة نفسانية أو مزاجية سلبية، اليأس عقيدة دينية، عقيدة جهنمية.

...
العبرة من القرءان ليست قراءته ولا حتى العلم بحقائقه وحقوقه، وإنما هي بالعمل به.

لأن الرسول عليه البلاغ المبين وجاء بلسان قومه "ليهلك مَن هلك عن بيّنة"، بالتالى حتى الكافر له علم ومعرفة بالقرءان "استيقنتها أنفسهم" "سيريكم آياته فتعرفونها".

لذلك لا تجد آية تذكر العلم والإيمان إلا وبعدها أو معها أو قبلها شيء من العمل، إما الشهادة وإما الفعل وإما القول ونحو ذلك من الأعمال الظاهرة والباطنة. مثلاً حين يذكر "أولوا العلم" قال "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم" فلم يمدحهم بالعلم فقط ولكن بالشهادة بناء على العلم "إلا مَن شهد بالحق وهم يعلمون". ولذلك لمّا قال "فمن ثقلت موازينه" جعل مرآتها ذكر التقوى والقول بناء على أمر الله [سورة المؤمنون، اليُسرى آية ١٠٢/ مرآتها الآية ٨٧-٨٨].

...

دخول الجنّة بسبب الإيمان، والدرجة في الجنّة بسبب الأعمال. فلن يدخل أحد الجنّة بعمله لكن بإيمانه. "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنّات النعيم"، "نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم". التوفيق للإيمان والعمل الصالح هو من رحمة الله وبإذن الله.

أما الذين يزعمون أن دخول الجنّة هو برحمة الله وليس بالإيمان والعمل الصالح، فقد كفروا برحمة الله من حيث يحسبون أنهم يعظّمون رحمة الله ويتواضعون لله. كيف؟ لأنهم يزعمون أن رحمة الله لا تسع إلا بعض الناس الذين قضى لهم بدخول الجنّة هكذا بغض النظر عن إيمانهم وعملهم، فلو كان السبب الكافي لدخول الجنّة هو فقط رحمة الله لوسعت رحمة الله كل الناس بلا استثناء "رحمتي وسعت كل شيء" هذا حكم الرحمة الأصلي وهو أنها تسع كل شيء. فما الذي يجعل البعض يدخل الجنّة التي هي دار الرحمة بينما البعض الآخر يدخل النار التي هي دار العذاب؟ ليس لقصور الرحمة لكن لقصور إيمانهم وعملهم، ومن هنا خصص بعد الإطلاق فقال "فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون".

"قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير" قدرة الله متساوية النسبة إلى كل ممكن من الحوادث، فلما حدث البعض دون البعض الآخر كان سبب الحدوث هو "أنفسكم"، فإن الأمر لو رجع إلى قدرة الله من حيث ذات القدرة لما حدثت صورة جزئية دون غيرها إذ القدرة متساوية النسبة للكل فأين المُرَجِّح لهذه الصورة على تلك؟ هذا ما أجاب عنه القرءان حين قال "قل هو من عند أنفسكم" وربطها بذكر القدرة المطلقة. فمَن زعم أن ما يحدث راجع إلى قدرة الله فقد كفر بإطلاق القدرة الإلهية، الإنسان هو الذي قد يفعل شيئاً لأنه يعجز عن غيره أو يكون غيره أقرب إليه منه أو أيسر عليه وأهون فيقوم به وإن كان الأولى عنده غيره وما أشبه، أما عند القدرة المطلقة فالترجيح لا يكون من الفاعل بل من المفعول به "قل هو من عند أنفسكم". كذلك الأمر بالنسبة للرحمة الإلهية، "رحمتي وسعت كل شيء"، فلو كان دخول الجنّة بالرحمة بدون أي مدخلة لعمل وكسب العبد لا ظاهراً ولا باطناً لا عقلاً ولا إرادةً، لوجب

دخول كل الناس الجنّة بل لما وجدت النار أصلاً ولما وجد ما يضاد الرحمة مطلقاً ولما قال " عذابي أصيب به مَن أشاء ورحمتي وسعت كل شيء" فلما كان ثمّة عذاب يضاد الرحمة بأي وجه من الوجوه، ولما وجد مرض مع صحة ولا جهل مع معرفة ولا ضعف مع قوة في الأكوان لا دنيا ولا آخرة.

ثم إذا دققت النظر، ستجد أن الذين يستشهدون برواية "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته"، يحرّفونها من وجوه. الأول عدم أخذ الرواية بكامل ألفاظها أثناء تفسيرهم لها. الثاني عدم التدقيق فيها. الثالث وهو الأكبر عدم فهم الرواية في ضوء الآية.

فهذه هي الرواية بتمامها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم {سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يُدخل الجنّة أحداً عمله}، قالوا "ولا أنت يا رسول الله؟" قال {ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله منه برحمة، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قَلّ}. أقول: أوّلاً هذه الرواية خطاب مع المؤمنين، وهذا ظاهر، ومع ظهوره عليه دليل في الرواية إذ قال السامعين "ولا أنت يا رسول الله" فهؤلاء قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر والرسول، فالكلام مع الذين آمنوا إذن. فالنبي لم يخاطب بهذا الكلام كفاراً. وقد بيّنا أن دخول الجنّة سببه الإيمان، وقد توفّر السبب هنا. ثانياً، قال النبي {لن يُدخل الجنة أحداً عمله} ولم يقل "إيمانه"، ولم يقل "إيمانه وعمله"، فخصص عدم دخول الجنّة بالعمل فقط، فخرج الإيمان عن الكلام. ثالثاً، قول النبي {إلا أن يتغمّدني الله منه برحمة} يدل على خلاف ما يفهمه أصحاب الرأي السابق، لأنه لو أراد النفي مطلقاً لقال " ولا أنا" فقط، لكن لما استثنى فقال "إلا أن يتغمدني الله منه برحمة" يشير إلى أمر أعمق وهو أن الإيمان عمل باطني، كما أن العمل حين يُذكر مقابل الإيمان يشير إلى عمل الظاهر، فلما قال النبي {ولا أنا} دَلّ على العمل بمعنى عمل الظاهر الذي هو موضوع الكلام الأصلي، ولما استثنى {إلا أن يتغمدني الله منه برحمة} أشار إلى عمل الباطن الذي هو الإيمان والرجاء في الله وتعظيمه وما أشبه من "تقوى القلوب" بعبارة القرءان، وهذه الكلمة من النبي هي بحد ذاتها من العمل لأن فيها رجاء في رحمة الله وسؤال ضمني منه فضلاً، والتوفيق للإيمان وثبات القلب على الرجاء في رحمة الله هو بحد ذاته من تغمّد الله الإنسان برحمته كقول أولي الألباب "ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب"، فمن شأن المؤمن رؤية إيمانه كفرع لرحمة الله ولا يراه استقلالاً عن تأييد الله وهبته ونعمته. في رواية أخرى تذكر نفس المضمون، ذكر النبي هذه العبارة {ولا يتمنين أحدكم الموت، إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب}، هنا كلام مع الذين آمنوا، فأصل الإيمان ثابت لهم، ثم بعد ذلك يأتي الازدياد من الخير أو الكفّ عن الشرّ، أي الحسنات والسيئات التي بناء عليها تكون الدرجات في الجنّة بعد دخولها بإذن الله ورحمته بسبب الإيمان، فلا يتمين مؤمناً

الموت فإن درجته في الجنّة مبنية على إحسانه أو إساءته من حيث الأصل، إلا أن يشفع فيه أحد فيرفع الله درجته بفضله إن شاء.

لابد من تفسير الروايات النبوية في ضوء الآيات القرآنية. وفي القرءان ذكر شرط الإيمان حتى يكون للعمل قيمة، وإلا "قدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثورا". فالله لا يضيع الإيمان "ما كان الله ليضيع إيمانكم" ولا كل عمل بُني على الإيمان. أما العمل غير المبني على الإيمان فذلك الذي يصير هباءاً منثوراً. كذلك ذكر في آيات كثيرة مصير الكفار إلى النار، وكون الكفر سبب لدخول النار "فمن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً". تداخل الأمور واتصال بعضها ببعض قد يؤدي إلى شُبهات. حين يُذكر الإيمان وحده، قد يُقصد به تصديق القلب وقد يُقصد به التصديق مع التفعيل. حين يُذكر الإيمان مع العمل، فيكون المقصود بالإيمان التصديق وبالعمل التفعيل. حين يُذكر العمل وحده قد يُقصد به التفعيل والتصديق أيضاً من حيث أن التفعيل عمل ظاهر والتصديق عمل باطن "لهم قلوب لا يعقلون بها". لذلك لابد من النظر في سياق كل كلمة لمعرفة المقصود بها تحديداً. ثبوت مغفرة الله للذنوب وتكفيره للسيئات والخطايا يدل على أن العمل ليس الشرط الجوهري في دخول الجنّة، وثبوت العلاقة بين الكفر والشرك الاعتقادي وبين دخول النار يدل على أن الإيمان هو السبب الجوهري لتحديد المصير الأبدي. "مَن يُشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة" هذه عبارة المسيح في سياق مسألة إيمانية "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح"، فهنا الشرك شرك اعتقاد، إذ نسبة الله إلى المسيح نسبة حصر وتعيّن ذاتي وتقييد ومماهاة ومساواة بين ذات الله وذات المسيح هذه النسبة شأن عقلي قلبي اعتقادي تصديقي، وليست من أعمال الجوارح بالأصل، وإن تبعتها أعمال الجوارح عادةً، لكن مَن اعتقد ذلك ومات فجأة على هذا الاعتقاد قبل أن يصلّي للمسيح صلاة مثلاً لكان داخلاً في الآية، كما أن الذي آمن بالله وحده ثم مات قبل أن يصلّي لله صلاة كان من أهل الإيمان ولو كان أخرساً لا ينطق ومشلولاً لا يتحرك، فجوهر الإيمان لا علاقة له بالقول والفعل أي العمل، وإلا لكان كل أخرس مشلول بالخِلقة من أهل النار وهو ظاهر البطلان. "اتبعتهم ذريتهم بإيمان" "سعى لها سعيها وهو مؤمن" وهكذا لن تجد آية تُثبت النجاة لكافر ولو عمل ما عمل، ولن تجد آية تُثبت النار لمؤمن لمجرد ارتكابه ذنب أو خطيئة عموماً، وبعض الآيات قد تكون محل نظر وبحث.

مثلاً، قوله تعالى {ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنّم}، هذه الآية تشير إلى قتل المؤمن من حيث هو مؤمن، أي قتله لأنه مؤمن، وتعمّد قتله من أجل كونه مؤمناً كما يفعل الكفار. لذلك قال قبلها "وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطئاً" فالكلام عن القتل من جهة الإيمان. وإن لم نفهمها على هذا الوجه تناقض القرءان، لأن الله أمر في آية أخرى فقال "وإن طائفتان من

المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي"، ومن الواضح أن الاقتتال والأمر بالقتال هنا فيه تعمّد قتل مَن تقاتله، إذ لا قتال بدون تعمّد قتل، وبالتأكيد لن يقتله "خطأً" وهو في الاقتتال أو تنفذ أمر الله بالقتال، ومع ذلك أثبت الله لهم اسم المؤمنين "طائفتان من المؤمنين"، وأثبت لهم الاسم الأشرف "المؤمنين" وليس "الذين ءامنوا" الذي هو أضعف منه في النسبة. هذا يدل على أن الاقتتال في هذه الآية ليس المقصود منه الاقتتال الديني، بل الدنيوي. أي الاقتتال ليس لغرض ديني وإلا لكفر أحدهما بالضرورة، لأنه إذا كفّرت طائفة طائفة أخرى فإما أن يصدق تكفيرها فتخرج عن وصف الإيمان وهو باطل لأن الله وصفها بالإيمان، وإما أن يكذب تكفيرها فيرتد الكفر عليها لحكم النبي على الذي يكفّر مؤمناً بالباطل برجوع تكفيره عليه فيكفر هو فيخرج عن وصف الإيمان وهو باطل لأن الله وصفه بالإيمان، هذا وجه. ووجه آخر، القتال الديني أو "قاتلوكم في الدين" شأن المشركين في القرءان والأقوام الكافرة بالرسل، فلا يصدر مثل ذلك عن المؤمنين أصلاً. وجه ثالث، أن القتال الديني غرضه جعل الفريق الآخر يرتد عن دينه كما قال تعالى "لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومَن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة"، فالمقصود من القتال الديني ردّ المُقاتَلين عن دينهم، ولا يكون هذا إلا بعد اعتقاد المُقاتِلين أن المُقاتَلين على دين باطل وكفر، فيرجع إلى تكفيرهم فيرجع الحكم إلى ما سبق ذكره من كونه تكفيراً صادقاً أو كاذباً. وجه رابع، قال الله "لا إكراه في الدين"، فمَن قاتل في الدين فقد كفر بأمر الله، بواحد من أعظم أوامر الله في كتابه وأهمّ ما تسبب في قتل وتعذيب الرسل والمؤمنين عبر القرون، ولا يدخل مؤمن في مثل هذه الصفة أصلاً ولا فرعاً. هذه ونحوها شواهد على أن قتل المؤمن متعمداً في آية {مَن يقتل مؤمناً متعمداً} المقصود به قتله من حيث كونه {مؤمناً}، ولذلك جاء بهذا الاسم في الآية. وإلا لكان المؤمن بالله ورسوله إذا وجب قتله ولو قصاصاً لكان قاتله المنفّذ لأمر الله "النفس بالنفس" داخلاً جهنّم أيضاً لأنه قتل مؤمناً متعمداً تنفيذاً للقصاص، وهو ظاهر البطلان. الأدلة كثيرة وكلها تدور حول التمييز بين قتل المؤمن لأنه مؤمن أو لاعتبار آخر. فمَن قتله لأنه مؤمن كان من أهل جهنّم من حيث الأصل كما قضى الله في الآية. ويكفي لإيجاب التأويل في الآية، حتى عند مَن لم يفهم دليلاً من الأدلة السابقة لأي سبب كان ولو لبلادة أو معاندة، أنه لا يوجد مسلم في الأرض إلا ويقضي بأن بعض مَن قتل المؤمنين ظلماً وعدواناً بل ولأنهم من المؤمنين قد دخل الجنّة أو يترضّون عليه ويرجون له الجنّة، وذلك لأن الذين كفروا من قريش وحاربوا النبي والصحابة قد قتلوا منهم وعذّبوا منهم الكثير ثم بعد ذلك تابوا وأسلموا وآمنوا ولعلهم استشهدوا في سبيل الله فصاروا بحكم القرءان من أصحاب الجنّة، وهذه الحقيقة وحدها

تكفي لإخراج إطلاق {مَن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنّم} وإيجاب التأويل والنظر فيه والبحث عن الحيثيات والاستثناءات فيها. فلا يمكن لمسلم إلا أن يقضي بأن هذه الآية من العام المخصوص، فلفظها عام الدلالة لكن القرائن والأدلة الأخرى تدل على تخصيص معناها. فالإجماع قائم على تخصيصها، والفرق في نوعية التخصيص. فما ذكرناه من كون القتل هنا المراد منه القتل بسبب الإيمان، بقرينة السياق والآيات القرآنية عموماً، وبقرينة {مؤمناً} في الآية ذاتها، يكفي لإخراج هذه الآية من دائرة الاستدلال على أن العمل شرط جوهري في دخول الجنّة أو سبب كافي لإدخال النار. أي المدار على الإيمان وليس على العمل.

قال إبراهيم {والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين}، وقال الله {يكفّر عنهم سيئاتهم} وآيات كثيرة تثبت المغفرة والتكفير للخطايا والذنوب في الآخرة. وكلها ستجدها في سياق يتحدث عن أصحاب إيمان.

إذن، الإيمان قد يُغني عن العمل، لكن العمل يقيناً لا يُغني عن الإيمان. ضد الإيمان يقيناً يُدخل النار، لكن ضد العمل الصالح لا يكفي للجزم بدخول النار. الإيمان أساس العمل، لكن العمل ليس أساس الإيمان. فمدار الأمر إذن على الإيمان.

...

قالت: سؤالين؛ إذا كان الله قد جعل من الماء كل شيء حي، وكان الماء من أحد تأويلاته هو الذكر، وبما أننا نتوضأ بالماء وفي الصلاة نقول تقريبا كل أشكال الذكر فهل هناك علاقة بين الماء الذي جعل منه الله كل شيء حي وبين الصلاة وكوننا نردد الأذكار ٣ مرات مع كل ركعة وسجدة؟ وأيضا نتوضأ ثلاث مرات للوجه والمضمضة وما نحوه؟ هل الرقم ثلاثة بالذات له علاقة بصفة الإحياء؟

والسؤال الثاني هو: يقول عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾

لكن الجان مثلا خلقوا من نار (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ" سورة الأعراف آية:١٢

فكيف تكون الجان والشياطين كائنات حية من نار؟ ألا يتعارض ذلك مع كون الماء أساس الحياة؟ أم للماء تأويل آخر وصفة أخرى؟

قلت: بالنسبة للثلاثة، علاقته بالإحياء من وجوه، من أظهرها أن الأب إذا اجتمع مع الأم نتج الولد، فهؤلاء ثلاثة، "يهلك الحرث والنسل"، فالنسل الذي هو مظهر الإحياء قائم يتجلى بالثلاثة. وجه آخر، أن ذات الإنسان من ثلاثة أمور باطنية، السرّ والروح والنفس، والبُعد الرابع فيه هو البدن الذي هو محلّ القيام بالرموز التي تدل على الثلاثة الباطنية، فكل واحدة من

الأعمال الثلاثة البدنية تشير إلى واحد من المراتب الثلاثة الباطنية، فواحدة للسر والثانية للروح والثالثة للنفس، وهي الأمور الخالدة من الذات الإنسانية. كذلك الوجود بالتحليل العقلي ثلاثة، {هو الله أحد}، فالهوية مرتبة، والاسم الجامع مرتبة، والأسماء الحسنى مرتبة.

أما بالنسبة للماء الذي في آية "جعلنا من الماء كل شيء حي". فتفسيرهذا الماء في قوله "وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء"، فالماء ليس هذا الماء الأرض الذي نشربه، المقصود الماء الذي تحت العرش، وهذا الماء الطبيعي رمز على ذلك الماء، وهذا الماء الطبيعي نفسه مركّب من أشياء. الماء العرشي أعلى من السماء والأرض، وهو قابل للتشكّل في كل مظاهر الحياة في السموات والأرض، وليس المقصود ذرات الهيدروجين والاكسجين طبعاً.

...

نقل لي أقوال بعض مرشحي الرئاسة الجمهوريين في أمريكا وهم يتنافسون على ادعاء إرادتهم إبادة غزّة دعماً للصهاينة، نقل لي كلام خمسة وأربعة منهم حتى الآن خسروا السباق فقلت له: أخذوا الذنب. وخسروا السباق للرئاسة. والعياذ بالله هؤلاء مثل على "خير الدنيا والآخرة ألا ذلك هو الخسران المبين".

...

نقلت لي كلام شخص يبدو أنه وهابي يتحدث عن وجوب خوف المؤمن من الله وأنه كلما ازداد قرباً من الله كلما ازداد خوفاً منه، خوف الذي يخشى ضياع شيء عظيم عنده، واعترضت السائلة على كلامه فقلت لها: كلامه حق. خوف المحبين غير خوف الظالمين.

...

قالت: ايش معنى(الزنا) في القرآن.

قلت: له معاني ودرجات ككل شيء آخر في القرءان، لأن الوجود له درجات. فالمعنى الواحد يظهر بصور مختلفة.

(والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق، ولا يزنون) هنا ثلاث درجات، لأن الأحكام العقلية ثلاثة.

الحكم الأول هو وجوب الوجود، وهذا هو الله تعالى الذي هو وحده واجب الوجود بالذات، وكل ما يجب وجوده فبالله يوجد. والشرك دعاء غير الله لاعتقاد بأن غير الله له وجوب في ذاته أو إيجاب في فعله.

الحكم الثاني هو إمكان الوجود. الممكن وسط بين الوجوب والاستحالة. وهذا مقام النفس. النفس لها مقام الإمكان، لذلك مثلاً نجد في سورة الشمس ذكر الثنائيات من الشمس والقمر

ثم النهار والليل ثم السماء والأرض وبعدها يذكر النفس. فالنفس ما بين وجوب الشمس والنهار والسماء، وبين عدم القمر والليل والأرض بحسب لسان الأمثال. كذلك النفس تكون أمّارة بالسوء ثم لوّامة ثم مطمئنة، فتنتقل من سوء العدم إلى لوم الإمكان إلى وجوب الاطمئنان.

الحكم الثالث هو الاستحالة. يعني العدم المطلق، الشيء الذي يستحيل وجوده. وهذا هو الزنا الأكبر، يعني اعتقاد العقل بشيء يستحيل وجوده مثل اعتقاد شريك لله أو اعتقاد بقاء الدنيا أو اعتقاد قدرة إتيان جن أو إنس بمثل القرءان. العقل له جماع، وهو اعتقاده بالتصورات والكلمات. فالكلمة الدالة على مستحيل الوجود إذا اعتقدها كان عقلاً زانياً. ومن هنا في الزنا الشرعي لا يُلحق الولد بالوالد إذا كان عن غير عقد نكاح صحيح، لأن العقل نور بينما العدم ظلمة فإذا تولّد الاعتقاد بالمستحيل فيه لم يُلحق بالعقل بل كان الاعتقاد من الجهل. الجهل زنا العقل.

هذا تأويل.

...

قال: الان في اية { ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ }

جابلك نوح ولوط

المتكلم بالعلن واللاط المتكلم بالخفاء فمفهومه العلاقه هنا بين الاسمين

ولكن في اية { لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ }

ما العلاقه بين داود وعيسى

لم داود وعيسى وليس غيرهم

ممكن العلاقه هنا ان يبين ان عيسى ذا ايد مثل داود

يعني غير مصلوب

بل مفكوك ويلعن الذين كفروا بيده

{ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ }

قلت: داود جاء بالحُكم، عيسى جاء بالحكمة.

"يا داود..فاحكم بين الناس"

"قد جئتكم بالحكمة"

والحكمة هي حكم العبد على نفسه بواسطة روحه. كما أن الحكم هو الحكمة التي يطبقها الخليفة على أمته.
لذلك لاحظ سبب اللعن، فهو العصيان والاعتداء وعدم التناهي عن المنكر من الأفعال. الثلاثة تتعلق بالأحكام.
كذلك لاحظ الفرق بين الخليفة والمسيح. الخليفة يحكم بسلطان القوة، لكن المسيح يحكم بسلطان الكلمة. من هنا (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) تناسب حكم داود، وما بعدها (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) تناسب حكم المسيح لأن التناهي يكون بالقول والاختيار الطوعي، بينما حكم الخليفة بين الناس يكون منفذاً بالقوة على مَن يُحكَم عليه.
والآية تُّثبت رابطة بين داود وعيسى، فعيسى من ذرية داود من أمه ووارثه الأعظم كما كان الحسين مثلاً من ذرية النبي من ابنته.

...

قالت (وهي من جزيرة العرب): لاحظت في نفسي إنّي من كثر جلستي في مكان فيه فرعنة تسمّمت فكرتي عن الله لدرجة مو قادرة أعرف ايش هي النّظرة الصّحيحة له و الموضوع جدًا قاهرني. يعني فرعون بالنّسبالي هو اللّي ارادتي ما تمشي بسببه و لازم اعمل زي ما يأمر و ينهى عشان اكسب مصالح تهمّني و اتجنّب أذى مابغاه لنفسي و حرفيًا دي نظرتي لله انّه لو سمعنا كلامه حيدخّلنا الجنّة و لو ما سمعناه يلا عالنّار و مرّة الفكرة تقهر في الحالتين لو من فرعون ولّا لو من الله. دوبي مؤخّرًا طلعت من سجن فرعون اللّي كان في راسي و فضيت اتفكّر و اتدبّر في القرآن بعقل المفروض انّه صافي بس لقيتني مرّة شايلة ع الله في قلبي انّه ليش مصعّب علينا الحياة كدة و حاط لنا شيطان و قاهرنا و لازم جهاد و هجرة ياخي مرّة قهر والله مابغى اعبد الله و كدة احساسي تجاهه و مرّة حاسّة من جوّا انّه مو دي الحقيقة بس كدة صار تصوّري عن الله بسبب السّنين اللي عشتها تحت رحمة فرعون فابغى اعرف منّك ايش هي حقيقة الله و كيف المفروض ننظر له و باي نفسيّة نعبده؟ و أعتذر لو كان كلامي غير لائق او فيه تعدّي ع هويّة الله الحقيقيّة بس جد ابغى افهم مابغى أحس بالقهر منّه هو كمان.

قلت: الله أعظم من أن يُشبّه قهره بقهر ضعاف الخلق الذين يقهرون ليأخذوا من المقهورين ثمرة عملهم لأنهم يفتقرون إليهم في الحقيقة.

الله تعالى قاهر فوق عباده، ومعنى هذا أنه يعطي كل واحد ما يستحقه ويسأله منه ويجازيه فقط بحسب عمله.

قهر المخلوق أخذ من المخلوق لأنه فقير إليه،

قهر الخالق إعطاء المخلوق لأنه غني عنه.

هذا أمر.

الأمر الآخر، مجتمعات الفرعنة لأنها سدّت باب الاعتراض على فرعون وآله وجنوده لعنهم الله، فإن الناس لا تجد عادةً متنفساً للاعتراض إلا على مَن لا تخاف مباشرة منه وهو الحق تعالى الذي أخّر الناس لأجل مسمى. لذلك لابد من كسر كل علاقة بمجتمع الفرعنة وقومهم، ولابد من الدعاء عليهم بالدماء والسعي في ذلك بقدر الاستطاعة. ولابد من معرفة أنه ستوجد بعد الخروج من نطاق حكم الفراعنة فترة تسعى فيها النفس للشفاء من كل الآثار العميقة للقهر والظلم المباشر وغير المباشر.

الله محبوب كل موجو مستنير، ونور كل طالب للنور، ولطفه يجعل جهنم فردوساً، وجماله يعطي معنى مقدساً لكل شيء. نذكره لأن اسمه شفاء للقلب ولا شفاء غيره، ونسأله لأنه لا يجيب غيره، ونقرأ كلامه لأن الروح العقلي لا يجد الاطمئنان إلا عند كلمته.

...

سألت سؤالاً طويلاً خلاصته وفيه استشهاد بآيات قرآنية، وحاصل السؤال: لماذا يتفرّق الناس بعدما جاءتهم البينة من الله والكتب؟

أقول: أسباب التفرّق كثيرة. ويمكن تلخيص وضع المتفرّقين إلى التالي، بناء على آية " منكم مَن يريد الدنيا ومنكم مَن يريد الآخرة".

بعض المسلمين يريد الدنيا، والدنيا أكبر همّه، وهو يريد الدين والإسلام لأنه وسيلة للدنيا، ويعتقد أن تحصيل القوة والثروة في الدنيا هي غاية الدين الكبرى. فلمّا صارت دولة المسلمين قوية وظهروا في الأرض وصار الإسلام هو الجامع المشترك والرؤية الكلّية التي تجمع الناس وتحكم بينهم، حينها تمسّكوا بالإسلام لأنه وسيلة القوة والثروة. فلمّا كان هذا مقصدهم الأعظم، ومحور طلباتهم ومطالبهم، صاروا ينظرون إلى كل شيء بعين "كيف أُحصّل المزيد من القوة عبر الإسلام؟" ومن هنا ينشأ اختلاق صراعات عقائدية وشرعية وأخلاقية وسلوكية مختلفة بحجّة أن "الإسلام يقول كذا"، حتى يصبحوا فرقة متميزة لديها "الإسلام الصحيح"، وبعد ذلك يدعون الناس إلى اتباع فرقتهم، وبعد تحصيل الأتباع من الحكام والعوام ينالون القوة والثروة التي كانوا يقصدونها. الغالبية العظمى من اختلافات المسلمين مبنية على هذا الأمر. وإن ظهرت الاختلافات بصورة علمية وبحث في النصوص وتفسيرها، لكن عند التحقيق والتدقيق نجد بإذن الله وفضله أن الاختلافات دنيوية بحتة، وأما الاختلافات "العلمية" فجاءت لتغطية تلك المطالب الدنيوية. الدنيا لا يمكن أن تسع مَن يريد الدنيا كلّها لنفسه، فلابد من

التفرق فيها. مَن طلب أكثر من ما يكفيه وشيء بسيط بعد ذلك كحدّ أقصى، فلابد من أن يتنازع مع الناس على الدنيا. لأنه يقول "هل من مزيد"، والآخر يقول "هل من مزيد"، ولا يسع الواقع لكل مطالب الناس أصحاب الأهواء الدنيوية "ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومَن فيهن". فهذا الأصل الأعظم للتفرق، وهو طلب الدنيا بالدين. الدنيا هنا هي القوة السياسية والثروة الاقتصادية والمناصب الاجتماعية. شفاء هذا المرض يكون بتأسيس الحكم الشوري في السياسة حتى يكون نصيب كل مسلم ومسلمة مساو لنصيب كل مسلم ومسلم في القوة السياسية، وأن يتم توزيع الثروة العامّة بالتساوي وقسمتها بالسوية بين أفراد المجتمع، وأن لا يطلب الناس المناصب الاجتماعية المهمة حتى تأتي هي إليهم وتطلبهم أو على أقلّ تقدير أن تكون المناصب معطاة بناء على الكفاءة التي يُشرف عليها العامّة وتبلغ عنها الأخبار مع وجود حرية صحافة لتتبع الفساد والمفسدين فعلياً. ولا يخفى عليك أن المسلمين عموماً ينكرون المساواة السياسية والاقتصادية والحرية الكلامية. لذلك الوضع بائس ومظلم حتى يتوب الناس إلى الله. هذا بالنسبة للأكثرية من أهل "منكم مَن يريد الدنيا".

أما أهل "منكم مَن يريد الآخرة"، فهؤلاء أيضاً يختلفون. وأصل اختلافهم راجع إلى أمرين، الأول عدم اعتماد الكشف والذوق في المعارف الدينية، والأمر الثاني عدم الإيمان بالرسول الحي والولي الوارث الحاضر في الأرض.

أما الأمر الأول، فلأن المعرفة إما أن تؤخذ من الكشف الذوقي وإما من الفكر الذهني وإما من مزيج منهما، فأما الفكر فدائماً يشتت ويسبب اختلاف لأنه محدود ونظرته محدودة فلابد من أن ينظر أهل الفكر إلى المسألة الواحدة من جهات مختلفة كما أن العين الحسّية محدود ولا تستطيع أن ترى الشيء المركّب المعقّد إلا من زاوية واحدة، فكل ناظر يصف ما يراه من وجهته هو، ويعتقد (وهنا مكمن الخطأ) أن وجهته هو هي الوجهة الوحيدة ويصنع فرقة ورأي بناء على ذلك فيقع التفرق. بينما الكشف يؤدي إلى معرفة شمولية وذات إحاطة وجمع بين مختلف وجهات النظر، فالكشف يُجمّع والفكر يفرّق. فيكسل أكثر طلاب الآخرة عن سلوك طريق المجاهدة النفسية التي هي الجهاد الأكبر لتخلية القلب وتصفيته لتلقّي الكشوفات الإلهية، ومنهم مَن يعتقد أن هذه خرافة أو بدعة أو ضلالة أو حتى إن كانت حقا فهي نادرة لا يُبنى عليها دين وما أشبه من اعتراضات باطلة، وما الكشف إلا فرع الوحي النبوي، فما يُطعَن به الكشف يُطعَن به الوحي الذي هو أصله، وحتى المعجزة لا يُعرَف أنها معجزة على التحقيق إلا بنوع من الكشف وإلقاء النور في القلب، وإلا ففكرياً يمكن تصور احتمال كون المعجزة من صنع كائن غير بشري وغير إلهي لا نعلمه. فالكشف على التحقيق أساس الدين كله، أصلاً

وفرعاً. لكن أصحاب الرؤية الفكرية لأصل الدين، يأخذون بأصل الوحي وينكرون فرع الكشف، فيقعون في الاختلاف الفكري الواجب وجوده لأن طبيعة الفكر هي كذلك، والثمار تتبع طبائع الأشياء. هذا يقرأ نصاً، وذاك لا يعلمه. هذا يفهم شيئاً من نص وذاك لا يراه. هذا يركّب رأياً من سبع طبقات فكرية، وذاك يضعف عن ذلك فيركّب رأيه من طبقة أو طبقتين. هذا يبحث عن لوازم اللوازم في النصوص، وذاك يكتفي بالظاهر السطحي. هذا يجمع بين سبعين نصّاً للوصول إلى رأي، بينما ذاك يكتفي بالجمع بين ثلاثة نصوص لتكوين رأيه في المسألة. وهلمّ جرّاً. فضلاً عن أن اعتماد الفكر كالأصل الأكبر في تحصيل المعارف الدينية يجعل الدين ذهناً لا روحاً، بينما الدين جاء بالروح "الروح من أمر ربي" و "أوحينا إليك روحاً من أمرنا". فكلّما كان الإنسان أكثر روحانية كان أكثر تديناً وأحسن ديناً. أصحاب الأصل الفكري كلما تمسّكوا بأصلهم كلما ابتعدوا عن أصل الدين الذي هو الروح. الروح واحد يجمع، بينما الفكر كثير يشتت. فنشأ الاختلاف العقائدي والشرائعي والأخلاقي بين طلاب الآخرة الصادقين في طلبها بسبب ذلك، ولا يزال.

وأما الأمر الثاني، فهو الإيمان بالرسول الحي والولي الوارث في الأرض. القرءان كله مبني على اتباع الرسول وطاعته. لكن بعد مقالة انتهاء الرسالة، وقطع الوحي بالمطلق، وإنكار وجود واحد يخلف الرسول، كما خلف هارون موسى مثلاً فإن موسى لم يترك قومه بلا خليفة " اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين"، وهكذا لابد من خليفة في الأرض، من أول يوم قال الله "إني جاعل في الأرض خليفة"، من قبل خلق آدم وضع الله الخليفة. فلأنه لا يوجد خليفة يفصل في الأمور العلمية والحكمية، أي لا يوجد خليفة علم كآدم "وعلّم آدم" ولا خليفة علم وحكم كداود "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس" "آتينا داود وسليمان علماً"، لأنه لا يوجد هذا الخليفة ولا يؤمن الناس به، انتهى الأمر إلى الفوضى العلمية والحكمية حتى بين طلاب الآخرة الصادقين.

شفاء هذا المرض يكون باتخاذ الكشف كأصل المعارف الدينية، والتفكّر تابع له في القيمة. وسلوك طريق المجاهدة كأساس لتحصيل الكشف بإذن الله. وبعد ذلك سيفتح الله للقلوب أمر الخليفة فإن الخليفة بجعل الله لا بجعل الناس، "إني جاعل في الأرض خليفة" "إنا جعلناك خليفة في الأرض"، وحينها يجتمع المسلمون على أمر واحد، كما قال الله "فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول".

...

١-{إذا جاء نصر الله} فـ{سبّح بحمد ربك}:

سبّحه عن المجيء وعدم المجيء في ذاته، واحمده بصفة النصر التي له بالذات.

٢-{والفتح} فـ{استغفره}:

. لم يقل "فتحه" أو "فتح الله"، بل {الفتح}، فَسَتَرَ النسبة إلى الله فأمر بالاستغفار الذي هو هو الستر فإن الغفر هو الستر.

. التسبيح عبادة الله بالكشف. الاستغفار عبادة الله بالستر.

. الفتح صفة وجودية تظهر في العالَم، فمعرفة الصفة وتسميتها بحسب حقيقتها فتسمّي الفتح فتحاً والنور نوراً ولا تسمّية ظلمة وهكذا معرفة الصفة على ما هي عليه عند الله فهذا من معرفة الله وعبادته بعبادة الاستغفار.

. فالتسبيح بالحمد نسبة الصفات الكمالية لله، {نصر الله}. والاستغفار تسمية الصفات الكونية بحسب حقيقتها عند الله {والفتح}. فالتسبيح بالحمد نسبة، والاستغفار تسمية.

٣-{ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً} فاعلم {إنه كان تواباً}:

. بالرؤية نعلم {ورأيتَ} {إنه كان}، ، برؤية الخلق تعلم الخالق.

. {الناس يدخلون} لأنه فطرهم على الدين فتعلم ما {كان} برؤية ما يكون.

. {في دين الله} من اسمه {توابا}، فتاب عليهم ليتوبوا ، أنزل دينه وحياً ليعودوا إلى دينه الذي فطرهم عليه.

. {أفواجا} بدليل {توابا} وليس "تائبا"، فاسم التواب أقوى من اسم التائب، فلما ذكر اسم التواب دل على دخول {الناس..أفواجاً} فكثّر الناس وكثّر الأفواج ولم يقل الإنسان والفوج، فهي توبة قوية شديدة الجذب.

...

أهل التأويل سيحاربهم الجاهلون بآيات التنزيل، ينزلونها في غير منازلها وهم أولى بها ممن ينزلونها عليهم.

كأن يأتي إلى آية نزلت في فرعون فينزلها على موسى الزمان، ويأخذ آيات موسى فينزلها على فرعون الزمان.

...

يأتيك بالمعاناة من كل مكان،

حتى يعرج بك إلى حيث لا مكان.

...

قال: ما معنى "مركز مدار الجلال" و "قطب فلك الجمال" في الصلاة الدسوقية، وما الفرق لو كانت مركز الجمال وقطب الجلال؟

قلت ما حاصله: لأن الجلال تنزيه، والتنزيه شأن العقل التجريدي، والعقل التجريدي يظهر في مثال الهندسة والرياضيات، فاستعمل كلمة "مركز مدار" للجلال إشارة إلى صلة الجلال بالعقل التجريدي التنزيهي.

أما القطب والفلك فأسماء مأخوذة من مظاهر طبيعية أرضية وسماوية، فالقطب شيء أرضي كقول علي عليه السلام في محلّه من الخلافة "محل القطب من الرحى" وهو الذي يُستعمل للطحن، والفلك من الأفلاك السماوية. والجمال تشبيه، والتشبيه شأن العقل التجسيدي، والتمثيل والظهور والتجلي، فربط القطب والفلك بالجمال إشارة إلى كون الجمال له التجلّي كما أن الجلال له التعالي. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم "إن الله جميل يحب الجمال" ولم يقل "جليل يحب الجلال"، لأن العباد ليس لهم الظهور بالجلالة وإلا تفرعنوا وطغوا وقهر بعضهم بعضاً كآل فرعون الذين قالوا "إنا فوقهم قاهرون" أرادوا الظهور بجلال الله الذي "هو القاهر فوق عباده"، فأهلكهم الله، لكن لما سأل المؤمنون النبي الظهور بمظاهر الجمال أخبرهم أن "الله جميل يحب الجمال" يعني يحب الجمال في عباده ومن عباده.

قال: ما معنى "ألحقني بنسبه" و "حققني بحسبه" في الصلاة المشيشية، فإني أخلط بينهما وأجعل الإلحاق للحسب والتحقيق للنسب أحياناً فكيف أحفظها؟

قلت ما حاصله: النَّسَب شأن الجسم والظاهر، ومن هنا جاءت أحكام في الشريعة بإلحاق الولد بأبيه وليس بغير أبيه كما فعل معاوية مثلاً حين ألحق زياد بأبي سفيان وكَبُر ذلك على المؤمنين حينها لأنها أوّل مرّة يُرَدّ فيها حكم رسول الله من قبل أمير جهاراً نهاراً إذ قال النبي " الولد للفراش وللعاهر الحجر" وكان أبو سفيان عاهراً حينها في الجاهلية فلا يتبعه زياد بالاستلحاق الصوري. فالنَّسَب للظاهر، فقال "ألحقني بنسبه" بمعنى النسبة الظاهرية الرسولية، أو من قبيل "سلمان منّا أهل البيت" بحكم "مَن تبعني فإنه منّي"، وليس المقصود نسب البدن الطبيعي إذ يستحيل الإلحاق بالنسب إن لم تكن منه مادّياً قال الله "ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله" وما كان للشيخ العارف بالله أن يدعو الله بما يضاد أحكامه الشرعية. سيدنا محمد له نَسَب ظاهري وهو أحكامه الشرعية وصورة دينه والاتصال بجسمه الشريف بالرؤية الإيمانية والتشبّه بسنّته العملية.

أما الحَسَب فشأن النفس والباطن. فيرتبط أكثر بالعقل والأخلاق، فقال "حققني بحسبه" فسأل التحقيق لأن النفس تتحقق بالعلم والأخلاق فتصير جزءاً من تكوينها وهويتها.

الشيخ إذن يسأل الإلحاق بالصورة الرسولية، والتحقق بالحقيقة النبوية. حتى يكون تابعاً لسيدنا النبي ظاهراً وباطناً، ويكون منه صورةً وحقيقةً، ويتمثّله مبنى ومعنى، بإذن الله وفضله.

....تم والحمد لله